الكتب التذكارية وقيم الوفاء والإخلاص

الشيخ محمد عبده.. بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره عرض ونقد وتحليل

يبدأ الدكتور (عاطف العراقى) فى تقديم هذا المجلد بتصدير عام يحدد فيه أهمية الشيخ محمد عبده كمفكر، وكيف ارتبط اسمه بالإصلاح الدينى والاجتماعى.. كيف آمن بالتجديد والنقد.. كيف عارض التقليد والجمود فى الكثير من المجالات كمجال التعليم والأزهر والصحافة والفن والعادات والتقاليد.. إلخ. وقد بدا ذلك واضحا فى كتبه ورسائله كرسالة التوحيد، والإسلام دين العلم والمدينة، والإسلام والرد على منتقديه، كما بدا من خلال المدرسة المتعددة الاتجاهات التى سارت على نهجه ومبادئه.. من مدرسة اجتماعية إلى فكرية إلى دينية.. وقد جاءت أبحاث ودراسات المؤلفين والأساتذة لتغطى أكثر هذه الجوانب وتعرضها فى أسلوب شيق، ومنهج دقيق. ثم يعرض فى سطور محددة لسيرة الإمام الذاتية مغطيا أكثر جوانبها العلمية والعملية.

وقد التزم الدكتور (العراقى) فى هذا المجلد الموضوعية والمنهجية العلمية الصحيحة فقسم المجلد إلى قسمين رئيسيين: عرض فى القسم الأول ثمانية عشر بحثا ودراسة لكبار المؤلفين والباحثين فى مجال

الفكر الفلسفى. أما القسم الثانى فقد قدم فيه عشرة نصوص مختارة عن الشيخ محمد عبده تتضمن لمحات عن حياته وأفكاره، ونماذج من كتاباته، وبعض الأمثال والحكم والأقوال المأثورة له.. وهى ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوعات المقالات والدراسات التى تضمنها القسم الأول. وسوف نعرض لكلا القسمين بالتفصيل:

يبدأ القسم الأول بمقالة موجزة للدكتور إبراهيم مدكور بعنوان «محمد عبده الإمام» توخى فيها عرض المراحل الفكرية للشيخ الإمام منذ صباه، وكيف تمرد على الدراسة التقليدية، ولم يقنع بالعلوم الدينية واللغوية وحدها بل أضاف إليها العلوم الطبيعية وما استطاع أن يصل إليه من مستحدثات الحضارة الغربية حتى حصل على الشهادة العالية، وكيف أنه فى شبابه قد آمن برسالته فى خدمة اللغة العربية والنهوض بها فقام بالتدريس فى مدرسة دار العلوم، وكيف كان من أوائل الداعين إلى إنشاء مجمع لغوى يخدم اللغة ويطورها لتفى بمتطلبات العلم والحضارة، وكيف اتجه إلى الصحافة فى كهولته فكان الرأى الحر الجرىء وكان التجديد والابتكار من خلال كتاباته فى الوقائع المصرية وفى العروة الوثقى.

أما الدراسة الثانية فيقدمها الدكتور (عاطف العراقى)، إذ يعرض كتاب الشيخ محمد عبده «الإسلام دين العلم والمدنية من خلال منظور نقدى» مؤكدا أن هذا الكتاب بما تضمنه من موضوعات حيوية

يكشـف عن سعة اطلاع الأستاذ الإمام وعمق ثقافته الدينية، فهو يؤكد في موضـوع «الدين والمتدينون» أن الله خلق الإنسـان ووهبه إرادة حرة تدفعه إلى العمل والكفاح فهو صنيعة أعماله، كما أن الديانة الإسـلامية قد وضع أساسها على طلب الغلبة وإعداد العدة. ولكن الملاحظ - كما يرى الإمام - أن المسلمين قد فقدوا الاهتمام بالبراعة في فنون القتال واختراع الآلات. وسبقتهم الأمم الأخرى فما هي أسباب تخلفهم الآن؟؟

يرى الإمام أن سبب ضعف المسلمين يرجع إلى ظهور طبقة من رجال الدين قالوا بالبدع التي ليس لها علاقة بالدين، فانتشر الجبر والتواكل وأدى هـذا إلى سـخريتهم من العمل والكفـاح. وإذا كان محمد عبده قد أشـار إلى بعض أسباب تخلف المسلمين، فإن الدكتور عاطف (العراقي) يأخذ عليه - بأسـلوب نقدي - عدم إشارته في أسباب تخلف المسلمين إلى عامـل الانغلاق الفكري الذي أدى بنا إلى التأخر عن ركب الحضارة. كما يشـير إلى اهتمامه بالجوانب التراثية أكثر من الجوانب العلمية، هذا بالإضافة إلى ضحالة تكوينه الفلسـفي مما أدى إلى وقوعه في بعض الأخطاء والمغالطات الفلسفية.

وإذا كان القسم الثاني من الكتاب يدور حول ردود الشيخ محمد عبده على هانتو - وزير خارجية فرنسـا - الذي طالب بالفصل بين السـلطة الدينية والسـلطة السياسية في بلاد المسلمين، فالواقع أن محمد عبده في ردوده على هانتو - كما يقول عاطف (العراقي) - كان متسـلحا بالصبر

والشجاعة والنقد البناء لكل حجة من حججه، ولا يقلل من ذلك – في رأى أستاذنا (العراقى) – سوى إسرافه فى التغنى بالماضى وتركيزه على الأمثلة التى تؤيد وجهة نظره دون أن يهتم بإيراد العديد من الأدلة التى تخالف وجهة نظره. غير أن الإمام فى القسم الثالث من كتابه يفحم خصمه حين يورد أصول الإسلام موضحا أنها تدعو إلى النظر العقلى لتحصيل الإيمان، وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، البعد عن التكفير، والاعتبار بسنة الله فى الخلق. وقلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها، ومنع الفتنة حماية للدعوة كما يدعو إلى مودة المخالفين فى العقيدة، والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة وعدم التركيز على جانب دون الآخر. ويؤكد الشيخ الإمام أن هذه الأصول كلها تدعونا إلى النظر والتفكير وإطلاق العنان للعقل. بل إنه اعتبر العقل وسيلة الإيمان الصحيح، وأنه ليس فى الإسلام ما يسمى بالسلطة الدينية، فمن حق كل مسلم أن يفهم القرآن بعد دراسته لبعض العلوم لأن الدين فى أساسه معاملة بين العبد وربه ويشير الإمام إلى أن جهود المسلمين لم تقف عند حدود العلوم الدينية فحسب ولكنهم اشتغلوا بالعلوم الأدبية بعد مرور عشرين عاما من وفاة الرسول ﷺ كما اهتموا بالعلوم الكونية منذ عصر الدولة العباسية، ويؤكد فى هذا القسم (القسم الرابع من الكتاب) أن حرية الرأى وتداول الأفكار كانت تنتشر بين الناس دون أدنى مراقبة أو حجر على أصحابها. غير أن أستاذنا (العراقى) وفى نقده البناء لفكر الإمام يرى أن بعض هذه الآراء وردت فى صيغة المبالغة، وإنه لجأ

إلى التعميمات والدفاع عن الحضارة الإسلامية بحق وغير حق، فهناك سلبيات كان يجب أن يشير إليها، والدارس لتاريخ الحضارة الإسلامية سيجد فترات حدث فيها تضييق على حرية الفكر، وإحراق كتب المفكرين، ورجم المشتغلين بالمنطق والفلسفة واتهامهم بالكفر والزندقة.

فى الفصل الخامس من الكتاب الذى عرضه الدكتور (عاطف العراقى) بدقة وموضوعية ينتقد الشيخ الإمام سلوك كثير من المشايخ ويشير إلى جمود تفكيرهم وإتباعهم أسلوب التقليد لا التجديد مما أدى إلى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة العالمية، ويدعو إلى الانفتاح على العلوم والثقافات المختلفة مؤكدا أن العالم فى المستقبل سوف ينتهى إلى تآخى العلم والدين على سنة القرآن والذكر الحكيم.

يشيد الدكتور (العراقى) بأفكار محمد عبده فى هذا القسم غير إنه يأخذ عليه عدم تفرقته بين العلوم الدينية، والعلوم غير الدينية مما يوحى بأن الدين قد أدى إلى اكتشاف جميع المكتشفات والنظريات العلمية: ويرى أن هذا الاتجاه الذى سار عليه بعض المفكرين يؤدى إلى الوقوع فى كثير من الأخطاء والصواب من وجهة نظره أن نؤمن بأن الدين يدعو إلى النظر العلمى، وأن آياته تدعو إلى النظر والتأمل ولا شك أن هذا المنهج سيقودنا إلى التقدم والرقى.

أما الفصل الأخير من كتاب الإسلام دين العلم والمدنية والذى يحمل عنوان «الإسلام ومدنية أوروبا» فإن محمد عبده يحاول أن يثبت فى

ثناياه أن العلم إذا كان قد تقدم فى أوروبا فإن ذلك لا يرجع إلى اعتقادات رجال الدين المسيحى بقدر ما يرجع إلى قوة العلماء والذين ألزموا الدين ورجاله بحدود معينة لا يمكنهم تخطيها، أما الإسلام فقد شجع العلم والعلماء فى عصور قوته، ولم تنتشر محاربة العلماء، أو اتهامهم بالكفر والزندقة إلا فى عصور الضعف والتخلف.

ويؤكد الدكتور (العراقى) بعد تحليله العميق لهذا الكتاب ونقده الموضوعى له إننا يجب أن نتخذ من آراء محمد عبده دستورا لنا فى عصرنا الحاضر، فمعظم آرائه تجعله مجددا من الطراز الأول، سابقا لعصره، يتمتع بعقلية نقدية دقيقة من النادر أن نجد لها مثيلا حتى عند مشايخ عصرنا الحالى.

الدراسة الثالثة تقدمها أستاذة الفلسفة الأستاذة نازلى إسماعيل وهى بعنوان «حكمة التنوير فى رسالة التوحيد» وهى تحلل بقدرة واقتدار هذه الرسالة مؤكدة أن الشيخ الإمام يرى أنه لا نجاة للأمة إلا بالعقيدة، ولا خلاص من الفرقة إلا بالتوحيد، ونظرا لأن التوحيد عنده يعتمد على نور العقل وحرية الإنسان، وتحرره من الجهالة والعبودية، كما يدعو إلى المساواة بين البشر جميعا، فإن الدين الإسلامى يحمل فى طياته مقومات التنوير التى أشرقت أنوارها على الإنسانية كلها.

كذلك يؤكد فى رسالته هذه على أن عمل الإنسان يجب أن يكون متناسقا مع عقيدته حتى يتحقق التوحيد على أكمل وجه، فلا يصح

أن تكـون العقيدة فى جانب، والعمل فى جانـب آخر، بل إن الاقتناع بالعقيـدة يجـب أن يؤدى إلى العمل الصالح، وبذلـك يصبح الإيمان فى الإسـلام تصديقا وقولا وعملا فتتحقق أسس التنوير والتقدم الحضارى، وتخرج الأمة الإسلامية من أزمتها الحالية.

أمـا الدراسـة الرابعة وهى بعنـوان «مكانة العقل فى فكر الشـيخ محمد عبده» فيقدمها أسـتاذ الفلسفة ووزير الأوقاف الأسبق د. محمود حمدى زقزوق..

وإذا علمنـا أن إبـراز صورة الإسـلام الصحيحة كانـت هى الهدف والغاية التـى جاهد من أجلها فى الداخل والخـارج، فى معاهد العلم والمؤتمـرات والندوات لأدركنا عمق دراسـته التى حاولت إظهار إيمان الإمـام محمد عبـده بقيمة العقل ودوره الحاسـم فى إحـداث التغيير والإصـلاح، ليس فى مجال الفكر الدينى فحسـب، بل فى مجال الفكر عامة، لأنه كان يؤمن بأنه إذا اسـتقام الفهم الصحيح للدين اسـتقامت أمور الحياة وسعى إلى التجديد والتطوير وبناء الحضارة الإنسانية على أسس سليمة لقد دعا الشيخ الإمام - كما يذكر الدكتور محمود زقزوق - إلى أن العقـل يجب أن يحكـم الدين. فالدين عـرف بالعقل. ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل حتى يسـتطيع أن يواجه مستحدثات الحضارة والمدنية، فالمسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة ولابد أن يتسلحوا بسلاح العلم والأخلاق ومن حسن حظ المسلمين أن دينهم يفسح

صـدره للعلم، ويحض عليـه، وللعقل ويدعو إليـه. وللأخلاق الفاضلة ويحض عليهـا. فالعقل إذن هو المنقذ للأمة الإسـلامية من تخلفها فى شتى المجالات.

وفى دراسة للجانب التربوى يعرض الدكتور عبد الفتاح فؤاد موضوعا له بعنوان « النزعة العقلانية فى الفلسفة التربوية عند الشيخ محمد عبده» ويوضح فى هذه الدراسة نزعة الشيخ الإمام إلى الاهتمام بالتربية الدينية الصحيحـة مع الأخذ فى الاعتبـار تصحيح المفاهيـم الدينية الخاطئة، كما دعى إلى إصلاح التعليم بضرورة التمسك بالعلوم الدينية مع الاهتمام بالعلوم العصرية، وأبرز أوجه القصـور فى المدارس الأزهرية والمدارس الأميرية وفى ذلك يقول «إن أكبر ما يؤخذ على التعليم فى مدارسـنا هو أنـه لا يثقف عقل الطالب، ولا ينمى فكـره، ولا يربى فيه قوة الابتكار وسـلامة الحكم، وروح النقد والاسـتقلال فى الرأى.. ومن أسـباب ذلك أننـا أخطأنا غاية التربية فصرنا نعنى بتكديس المعلومات ولا نبحث عن أثرها فى النفس حتى أصبحت غاية التلاميذ أن يعيشوا كما عاش غيرهم دون رغبة فى تطور أو تطلع إلى فتح آفاق جديدة للحياة، أما المعلمون فلم يكن لهم من مقصد سوى أن يلقنوا ما يجدونه فى الكتب المقررة فى أذهان التلاميذ ليعيده التلاميذ كما حفظوه يوم الامتحان».

ولقـد رأى الإمام محمد عبده أن علاج هـذا الخلل وتحقق الحلم فى ظهور جيل جديد يحمل مشـعل التقـدم والابتكار إنما يكمن فى تنمية

الروح الفلسفية لدى الطلاب، لأن الاشتغال بالفلسفة ما هو إلا تدريب عقلي يدعو إلى التعمق، وعدم الاكتفاء بظواهر الأشياء، بل النفوذ إلى المبادئ والأصول الكامنة، وهى دعوة تدفعه إلى البحث عن الحقيقة وتنمية القدرة على النقد والتحليل فتحميه من التعصب وضيق الأفق، كما أن الانفتاح على آراء وأفكار الآخرين سيقضى على التخلف والجمود الفكرى.

ولقد اختارت الدكتورة زينب الخضيرى موضوع «التطور والإصلاح عند محمد عبده» وهى فى دراستها ذات البعد التقدمى ترى أن قراءة أعمال محمد عبده قراءة معاصرة سوف تقودنا إلى معرفة أن أعماله كلها تدور حول مفهوم واحد يربط جزئياته المختلفة بعضها ببعض وهو مفهوم التطور، إذ إن التطور عنده يعد حقيقة مباطنة لكل الوجود بكل تجلياته، فقد أودعه الله فى خلقه ليعمل فيها عمله، فهو يتحكم فى كل الموجودات الطبيعية وفى المجتمعات الإنسانية وفى الفكر، بل وفى الأديان المنزلة نفسها. ويرى الأستاذ الإمام أن غاية هذا التطور والذى يسميه التدرج هو التقدم أو الترقى.. أما وسيلته التى تعجل بتحقيقه فهى التربية والتعليم.. التربية الدينية والأخلاقية، والتعليم الذى يهدف إلى الإلمام بنتائج العلوم الحديثة، أى إنه رأى أن تطور البنية الفكرية العربية لن يتم ولن يحقق أهدافه إلا بالرجوع إلى الأصول الإسلامية، وإلى ما يصلح لنا من حضارة الغرب، وكما عودتنا

الدكتـورة زينب الخضـيرى دائما على إثارة القضايا والدراسـات ذات المضامين التحررية الجديدة، فإنها تعد بتقديم دراسـة أوسـع وأشمل لفكر الشـيخ الإمام بعد أن قدمت فى هذه الدراسة محاولة لعرض نسق تندرج فـى داخله كل أفكار محمد عبده، وأمـا الفكرة المحورية التى تدور حولها كل مواقفه فهى فكرة التطور.

وفى رؤية صحيحة وعميقة لقيمة أفكار الشـيخ الإمام التى مازالت تحتفظ بقدر كبير من جدتها وتميزها على رغم مرور زمن طويل عليها، وتغير كثير من الظروف. يقدم الدكتور حامد طاهر دراسته حول «أفكار محمد عبده المسـتقبلية» ولقد حدد فى دراسـته هـذه ثلاثة أمور يقوم عليهـا مذهب الإمام الفكرى وهـى: العلم - التعليـم - التربية وإنه يصل من تحليلـه لهذه الأمور الثلاثة إلى بيان مـدى ارتباطها بالواقع الذى نبعت منه وكيف أنها رصدت ما يشـيع فيه من ظواهر سـلبية - تلـك الظواهر التـى كانت بمثابة عقبات حقيقية فى مسـيرة المجتمع عرقلت تقدمه وانطلاقه نحو تحقيق أهدافه.. فالعلم ينتج القوة والثروة والعدالـة، والطريـق الطبيعى لتحصيل العلم هـو التعلم. ولكى يرتقى الإمام محمد عبده بثقافة المصريين، ويحاول إصلاح التعليم، فإنه يتتبع بكل جدية وبأوجه نقد مختلفة سـلبيات معاهـد التعليم الموجودة فى عصـره، والمادة العلمية التى تدرس فيها، والمناهج المتبعة فى توصيلها للطـلاب، وكذلـك اللوائح التى تحكمهـا مؤكدا أن التعليـم بعيدا عن

التربية لا قيمة له، بل إنه أكثر من نقش على الماء، أو رسم فى الهواء – كما يقول – وإن خلو التعليم من التربية لا يعدو أن يكون تفريخا لأجيال من الشياطين لا من البشر. فهل صدقت رؤية محمد عبده منذ أكثر من ثمانين عاما وظهرت آثارها السيئة فى الأجيال الحالية؟؟؟

الدراسة الثامنة عن «الفكر الاجتماعى عند الإمام محمد عبده» يقدمها الدكتور على عبد الفتاح المغربى، ومن خلال عرضه الدقيق لنماذج من الفكر الاجتماعى عند الشيخ الإمام: كالعلاقات الاجتماعية، والآداب الاجتماعية، والتقدم الاجتماعى، والإصلاح الاجتماعى، ودور الدين فى المجتمع، والأسرة وبعض مشكلاتها «كتعدد الزوجات، ومشكلة الزواج والطلاق» يرى أنه اعتمد فى معالجته لهذه المسائل على المنهج العلمى الدقيق الذى يقوم على أسس تاريخية تحليلية مقارنة قاصدا إبراز الحقيقة للحكم عليها بالصواب أو الخطأ مما يؤدى إلى تعديل سلوكنا، أو تغييره وفقا لمعرفتنا بحقيقة هذه الظاهرات ومن هنا وكما يؤكد الدكتور على عبد الفتاح كانت حركة الإصلاح والتغيير الاجتماعى عنده تتميز عن غيرها من دعوات الإصلاح والتجديد باعتمادها على العقل والوعى، والأخذ بالعلم، والعودة للدين فى صورته الصحيحة.

وفى هذا المضمار الاجتماعى يقدم الدكتور سعيد مراد دراسته عن «نظرات فى الإصلاح الاجتماعى عند الإمام محمد عبده» ويؤكد فى دراسته المتميزة أن الإمام واجه المجتمع مواجهة نقدية، ولكنه نقد

بناء يستهدف تشخيص حالة المجتمع بكل بناياته الطبقية، وفى جوانبه المتنوعة: اقتصاديا، وثقافيا وسياسيا، وقدم رؤية نقدية للحياة المصرية فى القرية والمدينة محددا ملامح وخصائص كل حياة بل حياة الفقراء والأغنياء، متصديا لأحوال التعليم بكل مؤسساته، محاولا إصلاح ما فسد، وتصحيح ما انحرف سواء فى مجال العلم أم اللغة أم الشريعة والملة أم لعقيدة.

ويستخلص الدكتور سعيد مراد الأسس التى تقوم عليها خطة الإمام الإصلاحية والتى تتمثل فى توكيده على الصلة بين الفكر والوضع الاجتماعى، والعلاقة الوطيدة بين النهضة والتنوير وبنية الواقع الاجتماعى، والدعوة إلى تعبئة الوعى القومى ورفض الممارسات السائدة فى كل الأوساط، ودور التنوير فى تصعيد الوعى مما يؤدى إلى الانطلاق والإبداع فتتحقق النهضة الشاملة، ولقد حاول الإمام محمد عبده تحقيق هذه الأهداف من خلال المواقع المختلفة التى عمل بها داخل مصر وخارجها.

وتتناول كاتبة سطور هذا العرض – الدكتورة زينب عفيفى – الجانب النقدى فى فكر محمد عبده موضحا كيف كانت شخصية الإمام تعبر عن نزعة نقدية منذ حداثة سنه حتى تم تكوينه العلمى وكيف تناول الشيخ الإمام قضية النقد موضحا بعد دراستها وتحليلها دورها فى رقى الشعوب وتقدمها، وتحدد الكاتبة الأسس والمقومات التى اعتمدت عليها

نزعتـه النقدية كتقديره للعقل الإنسـانى، ودعوته إلى تحرير الفكر من قيـد التقليد، وإعطـاء الاجتهاد دورا كبيرا فـى إدراك الحقائق الدينية والاجتماعيـة، ودعوتـه إلى النهـى عن الجـدل لأنه يـؤدى إلى الفرقة والاختـلاف، ثـم إيمانـه العميق بحرية الإنسـان واسـتقلال إرادته. وفى ثنايا هذا التناول تعـرض الباحثة لنماذج من اتجاهاته النقدية فى بعـض المجالات. ففى المجال الدينى تعرض نقده لقضية حجاب المرأة، وفى المجال الاجتماعى تعرض لقضية تحليل أو تحريم الفنون الجميلة، وفى المجـال الأدبى واللغوى كانـت قضية تخليص اللغـة من الركاكة والضعف والمحسـنات الشـكلية من أهم القضايا التى شـغلته، كما كان مجـال تحقيق النصـوص وإحياء تراث العـرب والارتباط به من أخصب المجالات التـى ظهرت فيها عبقريتـه النقدية، إذ يعـبر المنهج الذى استخدمه عن مدى التزامه بالمعايير العلمية فى نقد النصوص وتحقيقها، وهو منهج يطابق أحدث مناهج تقييم النصوص المتبعة الآن.

ولا شـك أن جرأته وشـجاعته، وقوة بأسـه فى إظهـار الحق، قد سـاعدته على الالتزام بهذا المنهج واستخدامه فى شتى المجالات دون خوف أو وجل.

وفى مجال آخر من مجالات ثراء فكر الإمام وتنوعه يتناول الدكتور أحمد الجزار موضوع «الديـن والأخلاق عند الإمام محمد عبده» فيحدد مفهوم الدين عنده ويوضح علاقته بالعقل وبالأخلاق، كما يوضح ضرورة

الديـن وقيمته بحيث يصبح الدين مرشـدا للإنسـان بجانب العقل فى رسـم غايته الأخلاقية، وفى تحقيق مطالبه فى الدنيا والآخرة. فالدين إذن - عند الشيخ الإمام - مصدر تأسست عليه الأصول النظرية للأخلاق الإسـلامية بدءا من الإيمان بـالله تعالى، ثم الإيمان بالرسـل والأنبياء والبعـث والحسـاب ثم الإيمان بالإنسـان وحريته وإرادتـه فى القيام بالأفعال وبالتالى مسـئوليته وجزاؤه، ودور عقله فى التمييز بين حسن الأفعال وقبحها، بل التأكيد على أن هدف الأفعال الإنسـانية إنما هو التكمل بالفضائل الخلقية طلبا للسعادة.

ويؤكد الشـيخ الإمـام أن الفعـل الأخلاقى لا تتحـدد قيمته إلا إذا صار سـلوكا عينيا فى دنيا الواقع، وبذلك يقـترن عنده النظر بالعمل، والفكـر بالسـلوك، ويصبـح مـن الميسـور بواسـطة التربيـة تعديل واستبدال سلوك الإنسان الردىء بالسـلوك الحسن، والرذائل القبيحة بالفضائل الحميدة.

واسـتكمالا لهذا الجانب الأخلاقى تتنـاول الدكتورة ميرفت عزت بـالى «الجانـب الروحى فى حياة الإمـام محمد عبـده أو التصوف فى حياته» وتؤكد فى دراسـتها أن التربية الدينية التى نشأ عليها الإمام، والخلـق الحميد الـذى تحلى به، واتصاله بالشـيخ درويش وهو خاله وتأثره بإرشـاداته ومواعظـه - كانت من العوامـل المهمة التى دفعت الإمـام إلى الاتجاه نحـو التصوف الذى وجده طريقـا صحيحا للوصول

إلى المعارف العالية الشـريفة، والتى لا يصل إليها من يسـتخدم العقل والبرهان فقط وعلى رغم ممارسـة الإمام للتصوف، واسـتهلال حياته العملية والعلمية به، إلا أن فترة استغراقه فيه كانت فترة قصيرة حال دون اسـتمرارها استغراقه فى الدراسـات الفلسفية التى تلقاها على يد السيد جمال الدين الأفغانى.

أما دراسة الأستاذ سعيد زايد فتدور حول «الإمام محمد عبده المصلح والمجدد» ومن خلال عرض تاريخى لحياته ونشـأته العلمية والثقافية والمراكـز التـى تبوأهـا والآراء الجريئة التى جهر بهـا فى المجالس والهيئات والأفكار الحرة التى كتبها فى الصحف وأعلنها فى المؤتمرات يؤكد الأستاذ سعيد زايد أن الإمام محمد عبده قد قضى أكثر حياته فداء لفكـره الحر ونزعتـه الإصلاحية فى الدين والدنيا وقد تنبه المسـلمون بفضل دعوته فهبوا من رقدتهم وصحوا من غفوتهم وقد شعروا بكيانهم وحكموا العقل فى أمور دينهم ودنياهم كما حكموا الدين.. وهكذا سرت دعوة الإمام الإصلاحيـة وأفكاره التجديدية فى عروق المجتمع المصرى وكان لها سحرها البراق على إفراده.

وتقدم الدكتورة منى أبو زيد دراسـة بعنوان «منهج محمد عبده فى دراسـة العقيدة» وتؤكد فى هذه الدراسـة على أن الإصلاح الدينى عند الإمام قد اعتمد اعتمادا أساسـيا على إصـلاح منهج العقيدة، وهو يضع منهجا جديدا فى تصوره لعلم التوحيد يعتمد فى أصوله على أن الخلاف

بين الفرق ليس خلافا جوهريا، إذ ينحصر فى فروع الأحكام وليس فى أصول العقائد، كما أنه يؤكد أن فهم العقيدة الصحيح يعتمد على العقل لأن الإنسان بواسطته سيصل إلى اليقين حتى ولو كانت المعرفة معرفة دينية فالمعرفة تبدأ بالعقل ثم يأتى النقل ليصحح سير العقل ويؤكد ذلك الإمام محمد عبده بقوله «فلا يقين مع التحرج من النظر، وإنما يكون اليقين بإطلاق النظر فى الأكوان.. حتى يصل إلى الغاية التى يطلبها بدون تقييد كما هدانا الله إلى ذلك فى كتابه، فإنه يخاطب الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد» ويؤكد الإمام أن غلق باب الاجتهاد قد أصاب العقيدة بالتخلف لأن العلماء انصرفوا إلى تقليد الفرق المختلفة فى خلافاتها دون محاولة للتجديد، وانصرفوا عن الكتاب والسنة أخذا بأقوال المقلدين الذين قدموا صورة مشوهة للدين.

وفى دراسة بعنوان «الإمام محمد عبده – فكره ومنهجه» تتناول الدكتورة نبيلة ذكرى العوامل المختلفة التى ساعدت على تشكيل فكر محمد عبده ومكانته الأدبية والعلمية. سواء كانت عوامل تربوية أم ثقافية أم سياسية، وكيف نعكست هذه العوامل على تكوين شخصيته وظهرت فى دعوته إلى الإصلاح والتجديد خاصة دعوته إلى الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة والأدب، والإصلاح السياسى، وربما كان إصلاح الحياة الاجتماعية من أكثر الأمور التى شغلت فكر الإمام واستحوذت على اهتمامه فأكد أهمية حقوق المجتمع على الإنسان،

كما اعتبر أن التعليم من أهم وسائل إصلاح المجتمع لأنه يؤدى إلى التماسك والترابط ويحقق الروح الجماعية بين الأفراد، ويرفع المستوى الثقافى والفكرى للأفراد، وبالتالى يعود على الوطن بالارتقاء والتقدم.

أما الدكتور سيد ميهوب فيتناول فى دراسته موضوع «الإنسان والمجتمع فى فكر محمد عبده» مؤكدا أن محمد عبده كمصلح اجتماعى يبحث فى نظريتين: إحداهما تتعلق بالإنسان الفرد، والأخرى تتعلق بالمجتمع وذلك لأن الفرد فى اعتقاده هو نواة المجتمع، وأن المجتمع هو المكان الذى يمارس فيه الفرد تقاليده وعاداته. كذلك اهتم محمد عبده بالجوانب الأخلاقية لاعتقاده بأنه إذا كانت الأمم تعلوا حضاريا بفضل العقل، فإنها لا تستمر متحضرة بدون الأخلاق. ولقد سعى الشيخ الإمام إلى تأسيس مذهب أخلاقى يتصف بالخيرية والشجاعة والموضوعية فى الحكم على الأشياء، والتحرر من سيطرة الآراء والمعتقدات السابقة، وعدم الخضوع إلا للحق، وكان يؤمن بأن صلاح المجتمع مرهون بصلاح مفكريه ولذلك اهتم بإصلاح فكر الفقهاء الذين كانوا يمثلون موضع الصدارة عند العامة، وكانوا السبب فى فهم العامة للدين فهما سطحيا غير صحيح ومناف لجوهر الدين وروحه.

واستكمالا لمسيرة التنوير والعقلانية فى فكر محمد عبده يقدم الدكتور جمال المرزوقى دراسة بعنوان «الاتجاه العقلى عند الإمام محمد عبده» موضحا من خلالها أن الإمام يعد من المفكرين المجددين

فى الفكر الإسلامى، إذ إن الغاية الأولى التى استهدفها من نشاطه الفكرى كانت تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الاختلاف، وأن العقل وليس النقل هو طريق معرفة الله والإيمان الصحيح به، فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة، أما النقل فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، وبهذا نعتبر سلفيته سلفية عقلانية مستنيرة تأخذ الدين من منابعه الأولى.

ويشير الدكتور المرزوقى إلى أن اهتمامه بالعقل يبدو بصورة واضحة فى آرائه فى رسالة التوحيد، وفى دعوته إلى الانفتاح على الثقافات الأوروبية، وفى محاربة الجمود والتقليد الذى ساد فكر الفقهاء والعلماء والمدرسين والأخذ بالاجتهاد والتأويل، وفى إيمانه بالعلاقة الضرورية بين الأسباب ومسبباتها فى دنيا الفكر والواقع، وإيمانه بحرية إرادة الإنسان.

ولا شك أن إيمانه بتلك الأفكار ليدل دلالة واضحة على اعتباره من مجددى الأمة ومصلحيها.

الدراسة الأخيرة فى هذا المجلد للدكتور إبراهيم صقر وهى تتناول «فكرة الألوهية عند الشيخ محمد عبده» وهو يبرز فى دراسته اهتمام الشيخ الإمام بإثبات وجود الله عن طريق برهان الفلاسفة القائم على التفرقة بين الواجب والممكن، وهو فى اتجاهه هذا يسلك المسلك العقلى

رافضا التقليد ومتابعة علماء الكلام، كذلك بعرضه لصفاته تعالى من الحياة إلى الإرادة إلى القدرة إلى العلم.. إلخ بغرض معرفته تعالى معرفة صحيحة بالدليل لا بالتقليد موضحا أن استخدام العقل فى ذلك لا يتعارض مع الكتاب الذى يدعونا إلى استخدام النظر والتأمل والفكر.

كما يعرض لمشكلة خلق العالم عند الشيخ الإمام موضحا مدى قربها من نظرية الفيض فى مضمونها عند أصحاب وحدة الوجود وليس الفلاسفة، إذ يرى أن الفيوضات أو التجليات تعد تجليات لحقيقة واحدة فى صور مختلفة أو بطرق مختلفة. فالوجود عنده إذن حقيقة واحدة، والكثرة الظاهرة فى الكون قضى بها العقل القاصر، والحواس الظاهرة، فلا فرق بين الواحد والكثير، أو بين الحق والخلق فى الواقع إلا بالاعتبار والنظر العقلى القاصر.

القسم الثانى فى هذا المجلد الضخم يعرض فيه الدكتور (عاطف العراقى) مجموعة مختارة من نصوص وآراء وأقوال محمد عبده التى وردت فى ثنايا كتبه ومؤلفاته، فيعرض سيرته، ومرضه ووفاته وأقوال رجال الصحافة والجرائد العربية تأبينا لوفاته، كما يعرض لشهاداتهم وشهادات بعض كبراء الإنجليز كاللورد كرومر، والسير ملكولم مكارت، وشهادات بعض العلماء والأدباء العرب كشهادة عبد الرحمن الكواكبى، ويعقوب صروف، وإبراهيم اليازجى، وجورجى زيدان، كما يعرض لشهادات كبار الشخصيات المصرية

كرياض باشـا، ومحمد توفيـق البكرى، وطلعت حرب، وقاسـم أمين وأحمد لطفى السيد وسعد زغلول.. إلخ.

كما يعرض نصوصا من كتاب تاريخ الأسـتاذ الإمام تدور حول العلوم الكلامية والدعوة إلى العلـوم العصرية، وموضوع التعصب، كما يعرض لبعض حكمه المنثورة والمأثورة.

ومن رسـالة التوحيـد يختار الدكتور (عاطـف العراقى) نصا حول وظيفة الرسـل عليهم السلام، كما يعرض لأصول الإسلام كما وردت فى كتاب الإسلام دين العلم والمدينة.

والواقع أن اختيار هذه النصوص والأقوال إنما يدل على عمق وثراء فكر الدكتور (العراقى) – المشرف على هذا المجلد – كما يدل على دقته وحرصه على أن يكون هناك تناسـق وتناغم بين موضوعات المقالات والدراسات التى يتضمنها القسـم الأول، وبين اختيار هذه النصوص التى عرضها فى القسم الثانى، وبذلك خرج المجلد فى صورة مشرفة، تسترسل مقالاته وموضوعاته متضمنة أكثر الجوانب التى شغلت اهتمام الشيخ الإمام، عارضة لأهم كتبه ومؤلفاته، مشيرة إلى بعض المعارك الفكرية التى خاضها.

وإذا كان أكثر الباحثين قد تناولوا العديد من الجوانب فى فكر الإمام محمد عبده، فالواقع أنه كان يجب أن يشـير البعض منهم إلى جوانب أخرى له ومحاولة إثباتها أو نفيه عنه كمسألة انتمائه إلى (الماسونية) أو مسألة عدم تحمسه لتأييد الثورة العرابية فى أول أمرها.

إن الدراسة التاريخية لهذه المسائل كانت من الأهمية حتى تكتمل الصورة الصحيحة للشيخ الإمام فى أذهان القراء.

كذلك خلا المجلد من تناول المباحث الفقهية والسياسية كموضوعات مستقلة وهى مباحث جديرة بالاهتمام لإبراز جوانب التجديد والتنوير التى دعا إليها الإمام. صحيح أن هناك بعض الدراسات التى وردت فيها إشارات إلى هذه الجوانب ولكنها لم تظهر بصورة واضحة كسائر الجوانب الأخرى وعموما فالمجلد فى مجمله عمل عظيم يستحق الشكر والتقدير لكل من ساهم فيه وعلى رأسهم من تحمل جهد إظهاره بهذه الصورة المشرفة وهو الأستاذ الدكتور (عاطف العراقى).

الفيلسوف ابن رشد.. مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العقلى (كتاب تذكارى) عرض ونقد وتحليل

سعدت الأوساط الثقافية العربية والأجنبية أيما سعادة بصدور مولود جديد فى مجال الفلسفة العربية - وهو المجلد التذكارى الذى يحمل عنوان «الفيلسوف ابن رشد - مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العقلى» إشراف وتصدير. د. عاطف (العراقى) - بعد أن طال انتظار القارئ لهذا المجلد الذى - ولاشك - سوف يسهم إسهاما كبيرا فى إثراء المكتبة الثقافية بالعديد من النظريات والأفكار والموضوعات الجديدة الذى تضمنها هذا المجلد بأقلام نخبة ممتازة من رواد الفكر المستنير الذين وقفوا على آراء ابن رشد وتفهموا حقيقتها، وقد شعروا بحسهم النقدى أن ابن رشد لم

يكن من أولئك الفلاسفة الذين عفا عليهم الزمن، ولكنهم وجدوا أن آراءه تصلح لمسيرة العصر، بل إنهم تبينوا ما فى فلسفته من خلود فكرى، ومنهج عقلانى، واتجاة نقدى، بحيث استطاعت أن تثبت وجودها وتثبت أقدامها فدخلت فى تاريخ الفلسفة من أوسع أبوابه، وكتب لها الخلود فى نطاق الفكر العربى و للاتينى على السواء.

وما أحوجنا اليوم وأكثر من أى وقت مضى إلى تلك الروح النقدية؛ روح العقل، روح التنوير التى تجلت فى فلسفة ابن رشد ومنهجه، فجاء هذا المجلد الضخم تتويجا لجهود فيلسوف المغرب وتعبيرا عن مكنون الفكر الرشدى فى أوسع نطاق له.

وإذا كان الفضل لابد أن ينسب إلى أهله فهل يمكن أن نغفل حق من تحمل عبء ومشقة هذا الجهد الخرق، والعمل المتواصل طيلة عشر سنوات حتى خرج هذا العمل المتكامل إلى حيز الوجود؟. لا يمكن أن نغفل حق هذا الرجل الذى وهب فكره وحياته للقلم والفكر وعاش فى محراب الفكر زاهدا فى كل منصب أو جاه أو مال، وسواء عنده أقدرناه حق قدره، أم تناسيناه فى غمرة صراع الحياة كما يفعل الكثيرون الآن فى هذا الزمن.. ولكنها الأمانة العلمية، وقيم الوفاء والإخلاص والعطاء المتواصل التى غرسها فينا أساتذنا العظيم – الدكتور عاطف (العراقى) – طوال تاريخ كفاحه الفكرى. تلك القيم التى تحتم علينا أن نوفيه حقه، ونقدره حق قدره، وهو – بلا شك – رائد الفلسفة الرشدية التى اهتمت

بآراء وشـروح ابن رشد، وعرضها فى ثوب من الموضوعية والصدق بعيدا عن أى تزييف أو تحريف سواء اتفق معها أو اختلف.

أدرك أسـتاذ جيلنـا والأجيال القادمة (عاطـف العراقى) قيمة هذا الفيلسـوف فشـارك من قبل فى كثير من المحافـل الدولية والمؤتمرات العلمية التى أقيمت فى كثير من دول العالم حول فلسفة ابن رشد بجهد ملموس ظهر فى دراسات عميقة، ومقالات رفيعة أسهمت إلى حد كبير فى تغيير النظرة التقليدية فى فلسفة ابن رشد وآرائه.

ولكن كل ذلك لم يكن يشـبع إحساسه بقيمة هذا الفيلسوف الكبير، وبات يحلم بعمل متكامل تظهر فيه أصالة ابن رشد وقيمتة التى أدركها الغرب وتعرف إلى مكانته الحقيقية وفلسفته قبل أن نعرف نحن ذلك، فما كان منه إلا أن تحمس لهذا العمل وأخذ على عاتقه إظهاره إلى قراء الفكر والثقافة فى كل مكان فى صورة مشرفة.

كيـف ظهر هذا العمـل الجاد إلى حيـز الوجود؟ ومـاذا تضمن من نظريـات ودراسـات؟ ومـا قيمتـه؟.. هذا مـا سـنحاول أن نوضحه بأمانة وموضوعية.

يقـول الدكتور (عاطـف العراقى) فى تصديره لهـذا المجلد: «نظرا لأهمية فلسـفة ابن رشد، واعتقادنا بأهمية الدروس المستفادة من فلسفته والتى يمكن أن تقدم الكثير من الحلول لمشـكلاتنا الفكرية الحالية، فقد اتجه تفكير أعضاء لجنة الفلسـفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة –

وعلى رأسها مقررها الدكتور حسن الساعاتى - إلى إصدار مجلد عن هذا الفيلسوف وفلسفته حتى يكون ذلك إسهاما من جانب أعضاء اللجنة فى إحياء الفلسفة الرشدية خاصة وإننا نقترب من مرور ثمانية قرون ميلادية على وفاة ابن رشد، إذ توفى فى العاشر من ديسمبر عام ١١٩٨م.

وهكذا أدرك المجلس الأعلى للثقافة ممثلا فى لجنة الفلسفة والاجتماع قيمة هذا المفكر فأسند مسئولية هذا العمل إلى أستاذنا الدكتور (عاطف العراقى)، وهو كما نعلم جدير بتلك المسئولية وأهل لها، فقد أصدر من قبل كتابا تذكاريا عن «يوسف كرم» خلد به صاحبه، ووجد ترحيبا وتقديرا عميقا فى الأوساط العلمية - العالمية والعربية - ولقد تمثلت منهجية هذا العمل فى ثلاثة محاور رئيسية:

دار المحور الأول حول بحوث ودراسات عن ابن رشد وفلسفته، شارك فيها نخبة من الرواد والأساتذة والدارسين فى مجال الفلسفة، وهى دراسات متنوعة تكشف عن الخلافات الكثيرة حول حقيقة آراء ابن رشد وفلسفته، وهى إن دلت على شىء فإنها تدل أولا على مدى ما يتمتع به الدارس من مناخ حر يعبر فيه عن آرائه بصدق وحرية واقتناع، وثانيا على عمق آراء ابن رشد وثراء فكره الخالد.

أما المحور الثانى فدار حول بحوث ودراسات بلغات أجنبية تناولها اثنان من خيرة أساتذتنا الأجلاء ورواد فكرنا المستنير وهما الأستاذ الدكتور والأب الروحى لدارسى الفلسفة أبو الوفا الغنيمى التفتازانى،

والأستاذ الدكتور الأب جورج شحاته قنواتى - وذلك إيمانا منهما بقيمة فيلسوفنا فى التراث اللاتينى والفكر الغربى.

وأما المحور الثالث فقد تضمن مجموعة من النصوص المختارة من مؤلفات وشروح ابن رشد وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على مدى ثراء مفكرنا، وتنوع اهتماماته فى مجال الفكر الإنسانى عامة، والفلسفى خاصة.

وإمعانا منا فى تقدير هذا العمل وتقييمه فسوف نتناول - بإيجاز - الدراسات والموضوعات التى حفل بها هذا المجلد والذى يبدأ بدراسة لأستاذنا الدكتور إبراهيم مدكور بعنوان: «ابن رشد المشائى الأول بين فلاسفة الإسلام» وقد أبان فى هذه الدراسة القيمة أن ابن رشد جدير بأن يعد المشاء الأول من بين فلاسفة الإسلام الذين سبقوه أمثال الكندى والفارابى فى المشرق، وابن باجة وابن طفيل فى المغرب، وما ذلك إلا لأنه استوعب جوانب الفلسفة الأرسطية من منطق وطبيعيات، وإلهيات، إلى جانب كتب السياسة والأخلاق وعرضها فى صورة شروح رد بها على مخالفى أرسطو ووفق بينهم وبين التعاليم الإسلامية مما كان له أثره فى نشر الفكر الأرسطى فى العربية، وفيما ترجم منه إلى اللاتينية والعبرية.

ويعرض الدكتور مراد وهبة - فى دراسة عميقة - موضوع «مفارقة ابن رشد» وكيف كان موضع اهتمام الغرب فى حين لم يجد من العرب

سوى الإهمال والازدراء، وبينما استفاد منه الغرب فكان ممهدا للتنوير فـي أوروبا، كان موضع اضطهاد ونفى من أمتـه العربية فأدى ذلك إلى ركود الفكر وتخلفه طيلة قرون عديدة.

ويتناول الدكتور محمود زيدان - فى دراسة نقدية - موضوع «النفس والعقل عند ابن رشد» موضحا كيف رفض ابن رشد تعريف أرسطو للنفس بأنها صورة لجسم طبيعى آلى، لأن معنى ذلك فناؤها بفناء البدن الذى هو مـادة لها وهى صورة له ولا يمكن انفصـال المادة عن الصورة فى مذهبه، وأعطى تعريفا آخر لا يتعارض مع العقيدة الدينية فى خلود النفس، وهى إنها جوهر روحى قائم بذاته لا ينقسم وتستخدم الجسم كآلة لها، وعلى رغم ذلـك فلم يحل هذا التعريف - كما يقـول الدكتور محمود زيدان - الإشـكاليات المترتبة على القول بجوهرية النفس ولم ينجح فى محاولته فى الدفاع عن عقيدة خلود النفس فى الإسـلام، بل إن النظريات النقدية التى قدمها بعض الفلاسـفة لمحدثين والمعاصرين لم تستطع حل مشكلة جوهرية النفس وخلودها عند ابن رشد وغيره من فلاسفة العرب.

ويعـرض الدكتـور أحمد محمود صبحـى موضوع العلاقـة بين الدين والفلسـفة من خلال دراسة نقدية لرأى «ابن رشد فى ضوء منطق أرسطو، وتقييمه لقضية التوفيق بين الدين والفلسـفة» ويصل من خلالها إلى تقرير جدلية فلسفة ابن رشد، وإن كان هذا التقرير لا يتنافى إطلاقا مع اعتبارات ذات نزعة عقلية، وإنما يصل إلى هذه الحقيقة من خلال ثلاث نقاط:

نقطة البدء فى نظرياته والتى بدأ فيها بنقد مذاهب السابقين تمهيدا لإقامة مذهبه الفلسفى الجديد على أنقاضها. ومن حيث المقدمات، فقد أثبت أستاذنا أن كل ما هو فلسفى فهو جدلى ولا شىء برهانى فى أى مذهب فلسفى، وبالتالى فإن مقدمات ابن رشد لا تخرج عن ذلك المبدأ إذ إن الأسس التى تستند إليها نظرياته ليست قضايا أولية. وأما من حيث النتائج فلم تقدم فلسفة ابن رشد حلولا حاسمة لأى مشكلة فلسفية حتى توصف بأنها برهانية، وما ذلك إلا لأن الحلول الحاسمة والنتائج القطعية لا توجد إلا فى مجال الرياضيات وعلومها.

وعلى ذلك فلم تحقق محاولة فلسفة ابن رشد التوفيق بين الدين والفلسفة أغراضها لأن باطنها مخالف لظاهرها وإنه قد أبطن القول بازدواجية الحقيقة حين أعلن وحدتها، كما أنها عملت على استعلاء طبقة الفلاسفة البرهانية على حساب الجدلية والخطابية من عامة الناس.

أما بحث الدكتور محمود حمدى زقزوق فكان مجاله «الحقيقة الدينية، والحقيقة الفلسفية لدى ابن رشد»، وفيها يعيد الحق إلى أصحابه بتأكيده أن ابن رشد برىء من تهمة القول بتعارض الحقيقة الدينية، والحقيقة الفلسفية، وما يترتب عليها من فصل الفلسفة عن الدين، وما ذلك إلا لأن قضية تحاور وتعانق الحقيقتين، الفلسفية والدينية بصفة عامة قد نشأت من الدين الإسلامى نفسه،

وليست من مؤثرات أجنبية سابقة على الإسلام، فليس هناك - إذن- تعارض بينهما، وابن رشد فى تناوله لهذه القضية قد انطلق من مؤثرات إسلامية وضحت تمام الوضوح فى كتابيه: «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» و«الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة» ففيهما وضح اقتناعه بعدم وجود أى تناقض بينهما.

كيف تكون «الفلسفة الرشدية مدخلا إلى الثقافة الإسلامية»؟ هذا ما يجيب عنه الدكتور عبد الفتاح فؤاد فى دراسته داخل المجلد، موضحا أن آراء ابن رشد الفلسفية - بل والفقهية أيضا - هى من أنسب ما يمكن تقديمه لأبنائنا فى هذه الظروف الراهنة وذلك لأن الفكر الرشدى يحمل فى ثناياه من القيم ما نحن فى مسيس الحاجة لترسيخه فى ثقافة شبابنا، فهى فلسفة تنبذ التعصب وتحارب التطرف وضيق الأفق ولا تعتد بالفكر الخرافى القائم على إماتة العقل وذلك بتأكيده عدم التعارض بين الدين والفلسفة وبين الحكمة والشريعة، بل إن دراسة موضوعات العقيدة الدينية عنده لا تقوم على جدل عقيم كما هو الحال عند أكثر المتكلمين، ولا على التسليم والتصديق القلبى فى سلبية ولا وعى كما يعلن طائفة من الصوفية، وإنما تقوم على دراسة علمية فاحصة لموجودات العالم، وبذلك تنتهى العاطفة الدينية والشوق إلى معرفة البارى إلى ازدهار العلوم الطبيعية والإنسانية وبالتالى إلى التقدم الحضارى كما يرى ابن رشد الذى يعتقد اعتقادا جازما بأن هذا العلم يجب أن يقترن بالعمل حتى ينتفع به فى مجالات تطبيقية تساعد على التقدم والرقى.

وفى دراسة مقارنة لقضية «العلاقة بين الدين والفلسفة لدى ابن تومرت، وابن رشد» يحلل الدكتور حامد طاهر هذه القضية موضحا كيف قدم كل منهما فكرة تتعارض تماما مع فكرة الآخر. فبينما نجد ابن تومرت يسعى إلى الحفاظ على الشريعة من تدخلات العقل الإنسانى الذى يحتوى - من وجه نظره - على تناقضات كثيرة، نرى ابن رشد يؤكد أن للحق مستويات متدرجة، وأن أعلاها هى التى تتوافق مع ما جاءت به الشريعة، وعلى ذلك فلا ضير من استخدام منهج القياس البرهانى للتدليل على صحة الشريعة، وعلى رغم ذلك - وكما يؤكد د. حامد طاهر - فإن ابن تومرت لم يستطع أن يلغى دور العقل تماما.. فهو يعترف بالضرورة العقلية التى يعتبر الواجب أحد أقسامها، إذ يثبت أن البارى يعلم بضرورة العقل، كما أن مذهبه يؤكد ضرورة استقلال الشريعة وأنها قامت على بناء منطقى عقلى.

فى هذا المجلد الضخم قدمت الدكتورة زينب الخضيرى دراسة عميقة حول «مشروع ابن رشد الإسلامى والغرب المسيحى» ومما يحسب لها فى هذه الدراسة أنها تعلن تراجعها عن اعتناق فكرة انعزال الفكر الرشدى عن مقتضيات عصره وتهميش دوره وحصره فى مجرد قضية التوفيق بين الحقيقة والشريعة وما كان لهذه القضية من أثر فى الفكر اللاتينى الغربى لتعلن أن ابن رشد لم يكن مغتربا عن حضرته وثقافته ومشاكلها، وإنما كان مستغرقا فيها ولذلك فقد تبنى

مشـروع أن الفلسفة منهج وليست مذهبا، وأنها بناء تشارك فى إقامته وتعديله عقول الفلاسفة على مر العصور. وعلى ذلك يجب فصل الفلسفة عـن الفكر الدينى بحيث تعود الفلسـفة إلى صورتها النقية متمثلة فى الفكر الأرسـطى. ويعود الدين إلى بسـاطته الأولى مقتصرا على العناية بالعقيـدة دون تدخل الفلسـفة وإذا كانت مصلحـة المجتمع فى الماضى تقتضى التوفيق بينهما، فقد أصبحت فى زمن ابن رشـد تقتضى الفصل التام بينهما.

هذا المشروع الرشدى انتقل إلى الحضارة المسيحية الوسيطة منذ القرن الثالث عشر بحيث أتاح للعقل الأوروبى الانطلاق ليحقق النتائج المذهلة التـى حققها فى العصر الحديث بينما حالت نكبة لفلاسـفة فى العالم العربـى دون اسـتمرارها وتأثيرها فى أى مجال بفعل طغيان السـلطة الدينية والفكر الدينى المنغلق على العقول.

ويسـاهم أسـتاذ الفكر المتجدد الدكتور (عاطف العراقى) بدراسـة عصرية متطورة تواكب متطلباتنا الفكرية تحمل عنوان «ابن رشد وفكرنا العربى المعاصر» ويؤكد فى هذه الدراسة أننا سنجد فى دروس ابن رشد وفلسفته أسس التنوير، ودعائم اليقظة الفكرية، وركائز التطور الخلقى الذى يدفع إلى الأمام، بعد أن أصبحت الأمة العربية على شفا حفرة من الانهيار والتمزق لغيبة العقل، وانتشـار الخرافات والأساطير.. ويؤكد أننا فى أشـد الحاجة إلى دعوة ابن رشد فى الاهتمام بالعقل واستخدامه

فـى كافة المجالات، وفى أمس الحـاجـة إلى الاجتهاد العقلى والتأويل بـل إننا فى حاجة إلى تجنب الفهم الضيق للقضايا والمشـكلات الدينية التى تعترض حياتنا، وفى أمس الحاجة إلى الاستفادة من كل العلوم فى كل دول العالم، وفى الاهتمام بالعلم وقوانينه بحيث نستطيع الانطلاق بتلك الأسـس الرشدية إلى أن نتقدم إلى الأمام فنواكب العصر بحضارته المتقدمة وانطلاقاته العلمية المتطورة.

ويتناول الأستاذ سعيد زايد أحد مؤلفات ابن رشد المهمة - وهو كتاب «تهافت التهافت» - بالدراسـة والتحليل محاولا الوقوف عند المسائل الثلاث التـى كفر فيها الغزالى الفلاسـفة مبينا وجهة نظر الفلاسـفة فيها، ثم رأى الغزالى، ورد ابن رشـد عليه، كما يعرض لبعض جوانب الفلسـفة الرشـدية مثل قضية التوفيق بين الدين والفلسـفة، والفلسفة الإلهية والفلسـفة الطبيعية.. موضحا كيف سـار ابن رشد فى تناولها على المنهج العقلى الدقيق.

كما يعـرض الدكتور على عبـد الفتاح المغربى قضيـة «التأويل بين الأشـعريين وابن رشـد»، وهى من الموضوعات التى تهتم بالمقارنة بين تيارين يختلـف كل منهما عن الآخـر اختلافا جوهريـا، ويؤكد فى دراسـته هذه تفوق ابن رشـد على الأشـاعرة فى اهتمامه بوضع قواعد للتأويل لضبطـه، إدراكا منه بخطورة التأويل وأهميته، بينما لم يهتم الأشاعرة بوضع تلك القواعد إلا المتأخرين منهم.

وتتناول محللة هذا العرض د. زينب عفيفى شاكر «مشكلة الحرية فى فلسفة ابن رشد» موضحة أبعادها الدينية والأخلاقية والسياسية، وكيف استطاع ابن رشد أن يقدم لنا حلا لتلك المشكلة الميتافيزيقية وهو حل يوفق بين العقل والنقل مدعما رأيه بمبدأ السببية، والقول بالعناية الإلهية التى تثبت أن أفعالنا تتسم بالاختيار الحر المفيد الذى يفسح مجالا للإرادة الإنسانية حتى تتحقق العدالة الإلهية فى إثابة المصلح وعقاب العاصى.

كما تركز الدراسة على الأبعاد السياسية لمشكلة الحرية، وكيف أنها تعتبر أساس العمل السياسى وصلاح المجتمع الذى إذا سادت فيه الحرية والديمقراطية لاستغنى الناس عن الحاجة إلى الأطباء والقضاة لأن الفضيلة ستحمل الناس على احترام الحقوق والقيام بالواجبات دون إفراط أو تفريط.

أما د. نبيلة ذكرى، فإنها تتعرض «للمؤثرات اليونانية فى فلسفة ابن رشد» وخاصة مشكلة قدم العالم، وأدلة وجود الله ومشكلة الذات والصفات، والخير والشر والقضاء والقدر، ومشكلة خلود النفس.. موضحة أن إبراز هذا الأثر اليونانى فى إلهيات ابن رشد لا يقلل من شأنه أو مكانته، فلم يكن ابن رشد مجرد ناقل أو شارح فحسب، بل إنه عندما تناول أفكار أرسطو بالشرح والتفسير خرج عليه بأفكار جديدة تدل على مهارة الابتكار وبراعته مما جعل أفكاره همزة الوصل بين الفكر العربى والفكر الغربى.

وتتوالى بحوث الدارسين فى ذلك المجلد الضخم فيقدم الدكتور سعيد مراد دراسة بعنوان: «ابن رشد بين حضارتين» يحاول فيها أن يلتمس الجذور الفكرية والموروثات الحضارية التى تفاعلت فى تكوين عقل ابن رشد حتى أنتجت هذا الناتج الفكرى العبقرى الأصيل موضحا أن هذا التكوين قام على دعامتين أساسيتين هما: الثقافة العربية الإسلامية التى يرى أن لها الأولوية فى تكوينه العقلى، ثم الثقافة الغربية اليونانية التى كان لها أثرها فيما أنتجه من طراز فريد ومميز من الفكر الفلسفى.

وتتناول الدكتورة ميرفت عزت إحدى مشكلات الفلسفة الإلهية وهى مشكلة الخير والشر عند ابن رشد، موضحة ارتباطها بمسائل العناية الإلهية والغائية فى الكون، ومحاولة تخطى الجزئيات إلى الكليات، ومحاربة الجواز والإمكان والاعتقاك بالعلاقات الضرورية بين الأسباب ومسبباتها، مؤكدة اتجاه ابن رشد إلى اعتبار الشر أمرا يقتضيه كمال الله وعدله، إلا أن الخير موجود وهو غالب فى وجوده على وجود الشر فى العالم.

أما مجال الطب عند ابن رشد فقد اهتمت به الدكتورة منى أبو زيد، وهو جانب مهم أغفله كثير من الباحثين على رغم مكانة ابن رشد فيه، خاصة وأنه مارس الطب عمليا ونظريا، حيث عمل طبيبا خاصا لأبى يوسف خليفة مراكش، كما كان صاحب نظريات ومؤلفات طبية

أشهرها كتاب «الكليات»، وكتاب «الترياق» وقد عالج فيهما الكثير من الأمراض وأشار إلى الأدوية ووظيفتها، كما قام بشرح وتلخيص كتاب جالينيوس فى الطب والأدوية ومنافع الأعضاء، كما شرح أرجوزة ابن سينا فى الطب.. وهو ما أظهرته بوضوح وتناولته بالتحليل فى مقالها السابق اذكر الدكتورة منى أبو زيد.

وفى القسم الثانى من هذا المجلد والذى تضمن دراستين باللغات الأجنبية قدم لنا الأستاذ الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى دراسة عن ابن رشد والتصوف موضحا تأثر ابن رشد باتجاهات صوفية – على رغم نقده لهذا الاتجاه – وقد وضح ذلك خاصة فى نظرية المعرفة التى اعتبر فيها أن النفس الإنسانية لا تقف عند حدود المفاهيم الحسية المادية وأنها تبحث عن تلك المفاهيم المجردة فى عالم آخر لا مادى هو عالم الغيبيات، ولكن ماذا يعنى ابن رشد بالمنهج الصوفى فى المعرفة؟؟

يؤكد الدكتور التفتازانى فى مقالته العميقة إن ابن رشد حينما تكلم عن المنهج الصوفى فى المعرفة لم يتكلم عنه كتجربة ذاتية عاشها هو وتوصل بها إلى الحقيقة المطلقة بل إنه فهم أنها تجربة ذاتية فاعلية لا يهم صاحبها أن يتحقق من صدقها بالحجج المنطقية، كما يوضح الدكتور التفتازانى فى هذه الدراسة الجادة كيف كانت اللقاءات الفكرية تتم بين ابن رشد وبعض رجال التصوف وكيف حاول ابن رشد معرفة كيف يصل الصوفى إلى الحقيقة المطلقة من خلالها، كما

أوضح تعرض ابن رشد لهجوم ابن سبعين الذى وصفه بأنه مقلد ومردد لأراء أرسطو.

هذه الدراسة تدل بلا شك عن عمق صاحبها وثرائه فى شتى مناحى الفلسفة. كما تدل على منهجه الموضوعى فى النظر إلى الفلسفة وروادها على رغم اتجاهه الصوفى الوجدانى.

أما الأب الدكتور جورج شحاته قنواتى فقد قدم دراسة عن ابن رشد فى عصر النهضة موضحا فيها كيف قامت دور النشر المشهورة فى باريس. وبادو وبولونيا، والبندقية، بطبع جميع الشروح الرشدية مع النصوص الأرسطية وهى الشروح التى كانت قد ترجمت إلى اللاتينية من قبل، بل إنها قامت بطبع مؤلفاته الخاصة مثل تهافت التهافت، والكليات، والترياق.. إلخ. وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على تقدير تلك الهيئات العلمية لدور ابن رشد، وكم أعطى الرجل من وقته وجهده الكثير والكثير لتلك الثقافة العربية فى صورتها المشرقة.

أما القسم الثالث من هذا المجلد فقد ذكرنا من قبل أنه يشمل نصوصا مختارة من مؤلفات وشروح ابن رشد، وأعتقد من جانبى اعتقادا لا يخالجنى فيه أدنى شك أن الأستاذ الدكتور (عاطف العراقى) والدكتورة زينب الخضيرى قد وفقا إلى حد كبير فى هذا الاختيار، إذ إنهما استطاعا من خلال تلك النصوص بيان اهتمامات مفكرنا فى مجال التأليف والشرح والابتكار فى شتى مجالات الفلسفة من المنطق إلى ما بعد الطبيعة، والطبيعة، والفلك، والفقه، والطب، وأيضا فى

مجـال النقد والخلاف والجدل. مما جعلنـا نتعرف إلى آراء هذا المفكر العظيم سواء فى مؤلفاته المبتكرة أم شروحه أم تلاخيصه.

وعلى رغم كل ما حفل به هذا المجلد الضخم من تلك المقالات العميقة، والدراسـات النقدية المستفيضة حول ابن رشد وفلسفته ومكانته، إلا أن هناك بعض الجوانب المهمـة التى أهملها أكثر الباحثين وهى الجانب الطبيعى فى مذهب ابن رشـد، والذى يتضـح من خلاله بعض آراء ابن رشـد التى لا تخلو من جدية وعمق، وما ذلك إلا لأن شـروحه فى هذا الجانـب كانت تخص تراث أرسـطو خاصة من بين فلاسـفة اليونان، وكلنا يعلم كيف عبرت شـروح ابن رشد عن أصالة وابتكار وفهم عميق لهذا التراث الأرسـطى، وكيف كانت عونا لفلاسفة أوروبا – فى العصر الوسيط – على تخطى مراحل الفكر التقليدى الدينى إلى مراحل الابتكار والتقدم والتنوير.

كما أن الجانب السياسـى فى فلسفته لم يحظ بالاهتمام الجدير به، ولولا الدر سـة العميقة التى قدمتها الدكتورة زينب الخضيرى لما وقفنا على هذا الجانب المهم من فلسفته.

ولا شك أن الأستاذ الدكتور (عاطف العراقى) قد أدرك بحسه النقدى ما أشـرنا إليه أنفا إذ نجده فى تصديره لهذا الكتاب يقول: «ولا نزعم لأنفسنا أن هذا المجلد بما تضمنه من دراسات متنوعة يمكن أن يعطينا فكرة كاملة عن الفيلسـوف وفلسـفته، ولكنه محاولة متواضعة نقدمها على استحياء لتنبيه الأذهان إلى أهمية ابن رشد وفلسفته».

هـذا النقد لا يقلل مـن الجهد الخارق والعمل الضخـم الذى قام به الأسـتاذ الدكتور (عاطف العراقى)، وكنا نأمل أن يواصل مسيرة تخليد ذكرى رواد الفكر العربى من القدامى والمحدثين، وأن يوفى بوعده فى إثرائنا بالعديد من تلك الكتب التذكارية التى وإن دلت على شىء فإنما تدل على مدى مثابرته وإخلاصه ورفائه للفكر الجاد وأصحابه.. وليس ذلك بغريب على راهب الفكر والقلم عاطف (العراقى).

يوسف كرم مفكرا عربيا ومؤرخا للفلسفة (كتاب تذكارى) (عرض ونقد وتحليل)

أخـذت لجنة الفلسـفة والاجتمـاع بالمجلس الأعلـى للثقافة على عاتقها مهمة تكريم الشـوامخ من المفكرين فـكان أن أصدرت مجموعة من الكتب التذكارية التى تتناول العديد من الأعلام البارزين فى مجال الفكر والثقافة سـواء أكانوا مـن القدامى أمثال الصوفى الشـهير «ابن عربى» صاحـب نظرية وحدة الوجود، والسـهرودى المقتول، أم كانوا مـن المعاصرين أمثال الشـيخ مصطفى عبد الرازق صاحـب الرأى الحر والفكر المتجدد، وأسـتاذ الجيل أحمد لطفى السـيد وهو أحد العلامات البارزة التى أضاءت حياتنا الثقافية والسياسية.

وقـد وجـدت اللجنـة أن مـن واجبها إصـدار كتاب تـذكارى عن «يوسـف كرم» يسـلط الضوء على حياتـه وفكرة وكتبه بعـد أن عاش متعبدا فى صومعة الفكر مخلصا للفلسفة التى عشقها منذ سنوات عمره

الأولى، فعزف عن الحياة الدنيا ومشاغلها الحسية الزائلة، وارتضى لنفسه حياة الفكر والتأمل، وظل طوال حياته بعيدا عن أضواء الشهرة وبريق المجد، وأفنى ذاته فى الدرس والتحصيل والتأليف حتى أثمرت تلك الحياة الصارمة القاسية العديد من الأعمال الفكرية الرائعة التى وضعت مفكرنا الكبير على خريطة فكرنا الفلسفى المعاصر.

وإحقاقا للحق فإن صاحب الفضل فى توجيه اللجنة إلى إصدار هذا الكتاب التذكارى عن يوسف كرم كان هو أستاذنا الكبير ومفكرنا العملاق الدكتور «نجيب محمود» مقرر لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة وقد تفضل مشكورا بتشجيع هذا العمل وتذليل كل العقبات والمصاعب أمامه إيمانا من جانبه بأهمية يوسف كرم مؤرخا ومفكرا وبالدور العظيم الذى قام به وهى بلا شك لفته كريمة، وتعبير صادق وتحية حب ووفاء وتقدير لأستاذ عظيم من مفكر عملاق عظيم أعطى وما زال يعطى للثقافة والفكر غزير علمه وخلاصة فكره وتجاربه بمثابرة دائبة وتوقد ذهن قل أن تتوفر فى مفكر غيره.

وقد أسندت اللجنة إلى الأستاذ الدكتور عاطف (العراقى) مهمة الإشراف على إصدار هذا الكتاب.

وجمهور المثقفين فى العالم العربى يعرف تمام المعرفة الدكتور عاطف (العراقى)، فهو يعرفه من خلال مجموعة كبيرة من مؤلفاته التى يعد كل واحد منها انطلاقة جديدة فى عالم الفكر والفلسفة،

وبحيث أصبحت من الدعائم الأساسية التى تكون أى عقلية تريد أن تسير فى الطريق الصحيح للفكر والثقافة والفلسفة.

كما يعرفه المثقفون أكثر وأكثر من خلال أحاديثه الجزئية فى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، ومن خلال مئات المقالات والدراسات التى تنشر فى شتى المجالات الثقافية والفنية فى العالم العربى والتى نبهت العقول للتعرف إلى أفكار وآراء وعوالم جديدة لم يكن بالإمكان التوصل إليها إلا من خلال فكر حر جرىء، فكر بعيد عن أى تحيز أو تعصب لجنس أو لدين، هو فكر الدكتور عاطف (العراقى).

ومما لا شك فيه أن إشعاعات الدكتور عاطف (العراقى) الفكرية والثقافية قد ظهرت بأجلى صورها ليس فقط من خلال كتبه ودراساته ومقالاته العميقة غاية العمق فحسب، بل ظهرت أيضا من خلال عطائه المستمر الواضح لمئات من تلاميذه الذين أشرف على تكوينهم العلمى والفلسفى كما بدت من خلال توجيهه لنخبة ممتازة منهم وضعوا نصب أعينهم علم وفكر وقيم وأخلاق رائدهم فانطلقوا كل فى موقع عمله بتلك الذخيرة التى لا تفنى محاولين إصلاح ما أفسده الدهر بالعودة إلى قيم المحبة والتسامح والوفاء والاحترام، تلك القيم الإنسانية التى تأصلت فى شخصية أستاذنا الفاضل وغرسها فى نفوس تلاميذه مكونين مدرسة كبيرة تحمل آراءه وأفكاره وقيمه وأخلاقه ومنهجه.

ولذلك فلم يكن من الأمور الغريبة أن تتمثل قيمه الوفاء بأسمى معانيها فى اهتمام أستاذنا «بيوسف كرم» وتناوله لتلك الشخصية التى أثرت فى الحياة الفكرية والأدبية فى وطننا العربى ولكنها لم تنل حظها من التكريم والاعتر ف بمآثرها من جيلنا الذى ألهته شئون الحياة ومادياتها فتناسى أو نسى فضلها عليه وعلى من سيأتى بعده.

ولذلك فقد حمل الدكتور عاطف (العراقى) على عاتقه مسئولية تقديم يوسف كرم - المؤرخ الفيلسوف - من خلال كتبه ودراساته ومحاضراته ومقالاته إلى جميع الشباب فى كل مكان مستعينا فى ذلك بكل وسائل الإعلام إيمانا منه بأن الانطلاق إلى آفاق المستقبل لن يكون إلا بالاستعانة بأمجاد الماضى وذخائره حتى لا يكون هناك انفصال بين حاضرنا وماضينا.

يقول (العراقى) فى معرض تقديمه لكتابه التذكارى عن يوسف كرم.. فإن من الواجب علينا أن نسلط الضوء على حياته وكتبه، وإن لم نفعل ذلك فإننا سنكون فى عداد الحيوانات ولا يصح أن ننتسب كأفراد إلى المملكة الإنسانية».

ويستطرد فى حديثه قائلا «وليت شبابنا فى هذا الجيل الضائع يفعل مثلما كان يفعل يوسف كرم، إن نمط الحياة التى عاشها يوسف كرم يقدم لنا أبلغ الدروس وأعمقها إنه يقدم لنا مثالا يحتذى، يقدم لنا القدوة بأجل معانيها وأسمى جوانبها، تعطينا حياته دروسا فى التواضع وهدوء النفس وكيفية البحث عن الحقيقة والبعد عن طريق الحياة الزائلة.. ليت شبابنا

يأخـذون من حياته الفكرية دروسـا عديدة ما أروعهـا من دروس لأنها تمثل لنا المثال والنموذج ولا تعبر عن الأشباه والظلال».

لقد كان إيمان (العراقـى) العميق بدور هؤلاء الرواد وبيان أثرهم فى فكـر وقيـم وأخلاق جيل الشـباب دافعا له إلى تقديم تحيـة حب ووفاء وتقدير لأشـخاص كثيرين، هـؤلاء الرواد الذين أعطـوا ومازال بعضهم يعطى للثقافة والفكر الكثير، أمثال، الشـيخ محمد عبده، وطه حسين، ولطفى السـيد، وعبـاس العقـاد، والدكتـور عزمى إسـلام، والدكتور نجيب محمود، والدكتور فؤاد زكريا، والأب جورج قنواتى، ويوسـف كرم.. إلخ.

غير أن هذا الأخير الدكتور يوسف كرم يستحق منا وقفة أطول فهو موضوع ذلك الكتاب التذكارى الذى نتناوله بالعرض والتحليل.

لقد اسـتطاع الدكتور عاطف (العراقى) أن يظهر لنا يوسف كرم فى صـورة متكاملة من خلال ذلك الكتاب التذكارى المهدى إليه، ولا شـك أننا نجد أنفسنا أمام هذا الكتاب وكأننا فى محفل ثقافى ضم العديد من آراء أفاضل أساتذة الفكر والباحثين الذين تضافرت جهودهم لتكريم هذا المفكـر الذى أثرى الثقافة والفكر بغزير علمه وخلاصة خبرته وتنوعت تلك الآراء ما بين دراسات يوسف كرم وفكره وبعض كتبه، إلى دراسات ومقالات مهداة إليه، إلى عرض لأكثر محاضراته وبحوثه سـواء باللغة الفرنسية أو اللغة العربية، إلى عرض لبعض المقالات التى كتبها زملاؤه

وأصدقاؤه عنه بعد وفاته، واستطاع الدكتور عاطف (العراقى) بجهد خارق وعمل دائب أن يجمع فى هذا الكتاب التذكارى كل ما يمكن أن يظهر لنا هذا المفكر العظيم فى صورة مشرفة يفتخر بها أى قارئ لفكرنا الفلسفى المعاصر.

حقا لقد وجدت نفسى أمام موسوعة عميقة غاية العمق، وسامية غاية السمو والرفعة، تثير العديد من القضايا والمشكلات، موسوعة بلغت صفحاتها الخمسمائة صفحة أو يزيد، دارت فيها البحوث والدراسات حول عدة محاولات وتضمن الكتاب ستة أقسام:

يجد القارئ فى القسم الأول منها وهو بعنوان «بحوث عن يوسف كرم وكتبه مجموعة من المقالات والدراسات عن يوسف كرم وفكره وبعض كتبه».

فكتب الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم مدكور عن «يوسف كرم مؤرخ الفلسفة» مشيرا إلى أنه رحمه الله وقف نفسه على التأريخ للفلسفة وبدأ بأصولها اليونانية، ولم تفته الفلسفات الشرقية، وكان له ولوع وتعلق شديد بفلسفة أفلاطون وأرسطو، واعتمد فى دراستها على الترجمات الفرنسية الحديثة، والترجمات العربية القديمة، وأنفق فى ذلك الدرس الطويل عدة سنين خرج بعدها كتاب «تاريخ الفلسفة اليونانية» وهو كتاب لا يقل عن نظائره فى المؤلفات الإنجليزية أو الفرنسية المعاصرة.

كما اشترك مع الدكتور إبراهيم مدكور فى تأليف كتاب «تمهيد فى تاريخ الفلسفة» الذى وضع تنفيذا لبرنامج إصلاح التعليم الثانوى، وقد اختص فيه بالفلسفة القديمة، وفلسفة القرون الوسطى، وقد أحسن فيه- يوسف كرم - كل الإحسان فى هذه الحدود الضيقة. وبرغم مرضه وشيخوخته فقد استطاع استكمال حلقات تاريخ الفلسفة فأخرج كتابه «تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط» ثم أضاف إليه «تاريخ الفلسفة الحديثة» وبرغم أن هذين الكتابين قد لا يبلغان مرتبة «تاريخ الفلسفة اليونانية» - كما يرى الدكتور مدكور- إلا إنهما يستكملان التأريخ الذى حرص مؤلفه على أن يتمه.

ولم يكن يوسف كرم مؤرخا فحسب بل كان فيلسوفا قبل أن يضطلع بالتأريخ للفلسفة وقد عالج فى كتابيه «الطبيعة وما بعد الطبيعة»، «والعقل والوجود» قضايا فلسفية قائمة بذاتها اتسمت بأنها دقيقة وعميقة.

وكتب الأب الدكتور جورج قنواتى عن يوسف كرم من خلال رسائله، تلك الرسائل التى بلغت مائة وعشرة رسالة منها المطولة ومنها التى لا تتجاوز الأسطر المعدودة، وقد استطاع أن يستخلص من هذه الرسائل الفقرات التى تتصل بحياة يوسف كرم الفلسفية والتى تلقى الضوء على منهجه فى البحث وعلى الصعوبات التى واجهها، والروح التى كانت تدفعه إلى المضى فى عمله برغم رداءة صحته.

أمـا الدكتور مراد وهبه فقد قدم لنا يوسـف كـرم على أنه صاحب المذهب العقلى المعتدل الذى يؤمن بالعقل ويؤمن بالوجود. وبقدرة العقل على تعقل هذا الوجود، أى إن يوسـف كرم كان يرى أن دراسـة العقل يجـب أن تأتى فى المقام الأول، وهو فى مذهبه هذا لا يجرى على نهج القدمـاء الذين يبـدأون بالمنطق ثم يثنون بالفلسـفة الطبيعية، ولا على نهج المحدثين الذين يقتحمون علـم النفس ويثنون بالمنطق ويكون نقد المعرفة تابع لما بعد الطبيعة، لقد جعل يوسف كرم المعرفة هى المحور الذى تدور حوله مسـائل الوجود، وحل مسائل الوجود يأتى تبعا للحل المرتضى لمسألة المعرفة، ويشير يوسف كرم من خلال منهجه هذا إلى أن العقل يستطيع أن يدرك الوجود كما فى حقيقته سواء هو وجود طبيعى أم وجود رياضى. كما يسـتطيع أن يـدرك الوجود بالإطلاق أى الوجود بما هو موجود، ودليل هذه الاسـتطاعة أفعـال العقل الثلاثة: التصور الـذى يعبر عن ماهية الشـىء والحكم الذى يثبت وجود الشـىء وفقا لماهيته أو ينفيه، والاسـتدلال الذى يقارن فيه العقل بين مقدمتين يرى فيهما العقل علة وجود النتيجة، وبناء على هذه الاستطاعة يتأسس علم ما بعد الطبيعة وبذلك يمكن إثبات وجود النفس ووجود الله.

ويبدو هذا المذهب العقلى المعتدل بصورة واضحة فى إثبات يوسـف كرم لوجود النفس وعدم فنائها وهو يثبت ذلك من خلال دليلين أحدهما نفسى والآخر خلقى. والدليل النفسى مأخوذ من ميل فينا طبيعى أساسى للبقاء دائما.

أما الدليل الخلقى فهو مستفاد من ضرورة الجزاء التام على أفعالنا الحرة، والجزاء التام يشترط حياة أخرى لأنه غير متوفر فى الطبيعة لأنها غير خلقية، ولا فى المجتمع لأنه يتناول الأفعال الظاهرة، ولا فى الضمير لأنه لا يحكم على نفسه، فالنفس إذا خالدة.

كذلك يبدو هذا المذهب العقلى المعتدل من خلال إثباته لوجود الله، فبجانب دليل الحركة، يستدل يوسف كرم على وجود الله من خلال برهان النظام الذى يستند إلى مبدأ الغائية، وبرهان الممكن الوجود والواجب الوجود الذى يستند إلى مبدأ العلية، ويوسف كرم يقرر أن مبادىء العلية والغائية من مبادئ العقل، وهى مبادئ واضحة بذاتها لأن موضوعها الوجود، ومحمولها هو الوجود كذلك، ثم هى كلية لأنها تنطبق على كل وجود سواء فى الأذهان أم فى الأعيان.

وبإقرار كلية هذه المبادئ وموضوعيتها يتأسس علم ما بعد الطبيعة ومن ثم يمكن تأسيس علم الأخلاق، إذ يزعم يوسف كرم تناول مبادئ هذا العلم من علم ما بعد الطبيعة فيبدو لنا الوجود معقولا فى جميع نواحيه.

وبرغم إيمانه بالعقل إلا إنه فى تناوله للمسألة الأخلاقية حد من قوة العقل ووضع الإرادة فوق العقل وقد فعل ذلك حتى لا يصطدم عقليا بالدين، فالإرادة فى رأيه هى الدافع إلى الإيمان فيقول «إذا كانت السيرة قويمة كانت الإرادة مستعدة للإيمان، وحين إذ توجه انتباه العقل إلى الفحص عن سند الاعتقاد».

وهكذا يتضح لنا أن دعوة يوسف كرم إلى المذهب العقلى المعتدل كانت بدافع دينى ولذلك فهو يؤثر تعريف الإنسان بأنه «حيوان متدين».

أما كتاب «العقل والوجود» ليوسف كرم فقد تناوله بالدراسة والتحليل الأستاذ سعيد زايد فيقول: إن هذا الكتاب طبع لأول مرة عام ١٩٥٦ وصدرت له طبعة أخيرة عام ١٩٦٤ م وهى تقع فى ٢٩١ صفحة وينقسم إلى ثلاثة أبواب كبيرة تحدث فى الباب الأول منها عن وجود العقل، وفى الباب الثانى عن نقد العقل، وفى الباب الثالث عن المعانى والمبادئ الأولى فى الوجود ومبادئه ولواحقه وأقسامه.

وقد عالج فى هذه الأبواب مشاكل فلسفية عميقة كمشكلة الشك واليقين، ومشكلة التصور والوجود، ومشكلة العقل وإدراك الطبيعة، والعقل وما بعد الطبيعة.

وخلاصة رأى يوسف كرم إن للإنسان قوة إدراكية تتميز عن الحواس هى العقل، وهذا العقل يدرك معانى المحسوسات المجردة عن مادته، ومعانى أخرى مجردة بذاتها، ويألف هذه المعانى فى قضايا وأقيسة واستقراءات فينفذ إلى ما وراء المحسوسات فيقف على ماهياتها. وكان من الطبيعى أن يبطل المذهب الحسى الذى يقصر المعرفة الإنسانية على الحواس، وكان من الطبيعى وهو صاحب المذهب العقلى أن يدحض مذهب الشك المنكر لجميع الحقائق والذى يهدم العلم من أساسه، ويدحض أيضا المذهب التصورى الذى وإن آمن أصحابه بوجود العقل

وبمدركاتـه إلا إنهـم قصروا هـذا الوجود على داخـل العقل واعتبروا هذه المدركات تصورات فحسـب، فأنكروا على الإنسان حق الخروج من التصور إلى الوجود، ثم وضح يوسف كرم رأيه فيما بعد الطبيعة فذهب إلى أنـه علم يـدور على معنى الوجـود بما هو موجـود، وعلى المعانى والمبـادئ اللاحقة لمعنى الوجود وهى أبسـط المعانـى والمبادئ وأعمها، وهى الأساس لكل معرفة والتى ينبنى عليها العلم.

وهو بهذا قد وضح جزءا من مذهبه الفلسفى الذى قال عنه فى مقدمة الكتاب إنه «يتسـم باليقـين والإيمان» فبدونهما لا حياة للإنسـان بما هو إنسـان.. إنـه المذهب العقلى. الذى يؤمن بالعقـل ويؤمن بالوجود. فهو المذهب العقلى المعتدل.

كذلك قامت الدكتورة نبيلة ذكرى بعرض وتحليل كتاب يوسف كرم «الطبيعة وما بعد الطبيعة» موضحة أن يوسف كرم حاول فى هذا الكتاب توضيح مجالين من مجالات الفلسـفة هما مجال الطبيعة ومجال ما بعد الطبيعة. والدارس لآراء يوسف كرم فى هذا الكتاب بقسميه يتبين مدى تأثره ببعض الآراء السابقة عليه خاصة آراء «توما الإكوينى» وهذا يعنى أنه قد تأثر أيضا بآراء أرسطو باعتبار أن توما الإكوينى قد تابع أرسطو فى بعض ما ذهب إليه. ولكن يمكن القول بأن آراء يوسـف كرم تتبلور حول ما نسـميه بالتوماوية الجديدة حيث استطاع أن يطوع مذهب توما الإكوينى وبعض اتجاهاته الفكرية التى اشتقت موضوعاتها من فلاسفة

سابقين كأفلاطون وأرسطو، وابن سينا، وابن رشد الأمر الذى يجعل لفلسفته لونا من الخصوبة والثراء.

والحقيقة أن يوسف كرم استطاع فى هذا الكتاب أن يكون خلاصة مذاهب القدماء والمحدثين فى مجالى الطبيعة وما بعد الطبيعة، ونظرا لتأثره بآراء أرسطو وتوما الأكوينى فقد جاءت آراءه مزيجا من الفلسفة والدين بمعالجة جديدة وبذلك يمكن اعتبار مدرسته الفلسفية مدرسة التوماوية الجديدة.

أما القسم الثانى من الكتاب التذكارى والذى يحمل عنوان «دراسات مهداة إليه» فهو يشتمل على مجموعة من الدراسات التحليلية فى موضوعات فلسفية شتى أكثرها ليس بعيد الصلة عن اهتمامات يوسف كرم فيتناول الأستاذ الدكتور توفيق الطويل دور الدين والأخلاق فى بناء الثقافة فى مصر المعاصرة، موضحا ضرورة الدين للفرد والمجتمع. إذ أن فى صميم هذا الدين ثقافة لا غنى عنها للشعب الذى يدين بها، ومن الضلال أن يظن ظان أنه من الممكن بناء ثقافة لشعب من الشعوب تخلو من الثقافة الدينية.

كما تناول الأستاذ الدكتور يحيى هويدى برؤية ذاتية موضوع وحدة المعرفة – الفلسفة – العلم – الدين – موضحا أن الهدف ليس تقديم حل جزرى لتلك المشكلة الخالدة، بل بيان كيف تتلاقى أجنحة المعرفة، فإذا كان هدف الإنسان هو البحث عن الحقيقة، فإن هذا يعنى أنه يبحث عن جوهر الموضوع أو الماوراء، فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى

خلقــه الله وبه مهماز يدفعه دائما إلى أن يتجاوز بعقله الواقع المباشــر الذى يصادفــه أو يلاقيه لأول وهلة، وإلى أن يعيــش بوجدانه التاريخ ويهجر الحاضر ليعيش فى الماضى تارة ويتطلع إلى المستقبل تارة أخرى ويعيش هكذا مذبذبا بين آمال وخوف، وكل هذا يعنى عنده الماوراء.

وإذا كان كل من العالم، والفيلسوف، ورجل الدين يبحث عن الماوراء الــذى تختلــف حقيقته عند كل واحد منهم فمما لا شــك فيه أنه بهذا البحث تكمن وحدتهم.

كذلــك يقدم لنــا الأســتاذ الدكتور محمــود فهمى زيــدان موضوعا بعنــوان «مذاهب الشــك وموجاتها» محــاولا بيان مدى تأثر الفلســفة المعاصرة بموجات الشــك سواء منها المتطرف أو المعتدل ويتساءل أيهما أكثر تأثيرا على مســرح الفلســفة المعاصرة أنصار الشك أم أنصار إمكان المعرفــة الموضوعية؟ ويرى أن أنصار المعرفة الموضوعية حققوا نصرا على الشــكاكين حين أجمع الفلاســفة والمناطقة والرياضيــون على أن قضايا الرياضيات البحتة وقواعد المنطق ســابقة دائما ويقينية، لكن الشكاكين انتصروا على خصومهم حيث يعترف الخصوم أنه من المســتحيل تقديم برهان منطقــى محكم على أن العالم الفيزيائــى موجود أو غير موجود مستقلا عن إدراكنا ووجودنا.

وينتصــر أصحاب المعرفة الموضوعية نصــرا جزئيا فى مجالين هما: إجماع الفلاســفة والعلماء المعاصرين على إمكان إقامة معرفة موضوعية

عن العلم الفيزيائـى لكنها معرفة احتمالية، واقتناع أغلب الفلاسـفة المعاصرين بأهمية البحث الميتافيزيقى وتغلغله فى شتى فروع الفلسفة، بل وضرورتـه للكثير من العلوم التجريبيـة والصورية وهذان مجالان يحققان أيضا نصرا جزئيا للشـكاكين بمعنى أن الشكاكين أثروا فى كل الفلاسـفة وجعلوهـم أكثر حذرا فى إقامة قضايـا احتمالية عن العالم، كمـا أنهم لم يعـد يوجد من يدعى الوصول إلى طبيعة الأشـياء، كما أن الشكاكين جعلوا الميتافيزيقيين أكثر حذرا فى صياغة نظرياتهم بحيث انحصرت نظرياتهم الميتافيزيقية فى نظرة شاملة إلى عالمها الفيزيائى أو عالم الإنسان ومشكلاته. ولم تعد توجد تأملات فى عوالم أخرى.

ويتناول الأسـتاذ الدكتور أحمد محمود صبحى فى مقالة له بعنوان «بين ديمقراطية أثينا وديكتاتورية اسـبرطة» تأريخا للحياة السياسية والنظم السـائدة فـى هاتين المدينتين المتناقضتين ومـدى تأثير الأنظمة السـائدة ديكتاتورية أو ديمقراطية على ألوان الثقافة والفنون والتحضر ومن ثم إنجاب عباقرة الفكر والفن.

أما الأسـتاذ الدكتور عبد القادر محمود فيقدم لنا أحد صوفية القرن السـابع الهجرى وهو «المكزون السـنجارى» الذى عاش فى زمن الدولة الأيوبيـة فى بلدة سـنجار الموصلية ويوضح لنا من خلال نثره وشـعره منهجه فى المعرفة التى يصلها بالمحبة التى هى جوهر المعرفة ويجعل سـبيلها الإيمان والاقتداء ثم التبصر أى إن المعرفة عنده هى الإشـراق

العقلى على النفوس الخيرة والأرواح النيرة، كما يعرض د. عبد القادر محمود لنظرية المكزون السنجارى فى المثال الكامل مع الإنسان الكامل والنبى الرسول الكامل والتى تأثر فيها بالصوفى العربى محى الدين بن عربى وتلميذه عمر بن الفارض.

وفى مقالة للأستاذ الدكتور عاطف (العراقى) تحمل عنوان «الإنسان عند فلاسفة المغرب العربى» يؤكد أن الباحثين فى مجال الفلسفة العربية قد أخطأوا عندما تصوروا أن فلاسفة المغرب العربى لم يهتموا بالبحث فى الإنسان ولم يدركوا بوضوح البعد الإنسانى وأهميته، ويقول إننا إذا حللنا أفعال المتوحد حتى آخر أفعاله، وإذا وضعنا فى اعتبارنا رفع ابن طفيل لمرتبة «حى» فوق مرتبة «ابسال» و«سلامان» فإن هذا يعنى فى أساسه وجوهرة رفعا للعقل الإنسانى وبيانا لمكانته الكبرى وإثباتا بأن العقل هو هذا الجوهر الخالق الذى لا يحتاج إلى وصاية. إننا إذا تأملنا وبحثنا فى النسق المذهبى الفلسفى الرشدى فإننا نشعر أننا أمام فيلسوف كان حريصا حرصا تاما على إثبات دور الإنسان وبيان الثقة بالعقل، بل إن هذا الفرد المعقول يعد قادرا إذا اعتمد على عقله على إنجاز الكثير من المهام سواء ما تعلق منها بالمجال الإلهى. أو ما تعلق منها بالمجال الإنسانى.

أما الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق فإنه يتناول فى مقالته «مفهوم المسئولية فى الحضارة الحديثة» وهى الدعامة التى ترتكز

عليهـا الحضارة الحديثة، وهو يرى أن الحضـارة الصحيحة هى التى تجعل المرء على وعى بالمسـئولية الكبيرة التى يتحملها، وهى ليسـت مسـئولية عن أعماله الخاصة فقط، بل مسـئولية عن العالم الذى يعيش فيه أيضا، وامتلاك الحضارة يعنى اعتراف المرء بالمسئولية وتحمله لها ذلك لأن الحضارة التى هى امتياز للإنسانية ليست مجرد حضارة إنتاج واسـتهلاك، بل هى التزام أخلاقـى، إن الحضارة لها طبيعة مزدوجة فهـى من ناحية تحقق نفسـها فى سـيادة العقل على قـوى الطبيعة، ومن ناحية أخرى فى سـيادة العقل على نوازع الإنسان، وهذا يؤكد أن الحضارة كما ذكرنا التزام أخلاقى أو هى مسئولية والإنسان مسئول بأنه حر وتحقيقه لحريته لا يكون إلا بتحمله للمسـئولية، وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين الحرية والمسئولية فى البناء الحضارى، فإن المسئولية هنا تكتسـب بعدا جديدا، فلم تعد المسئولية أحادية الجانب من حيث مسئولية الذات العاملة وما تقرره من سلوك وإنما هى أيضا مسئولية عما يحدث فى العالم ويؤثر الظروف الحياتية للإنسـان ومن هنا لا تنفصل حريـة الفرد عن حرية الآخرين والمسـئولية تعنى الاقتناع بتضامن كل البشر وقيام علاقات إنسانية مطلقة تتمثل فى المحبة والأخوة والعدالة والإخلاص والتراحم.

وكتب الأسـتاذ الدكتور عزت قرنى فى موضوع «حول بعض جوانب الغموض فى محاورة ثياتيتوس لأفلاطون بين الفكر والمعرفة» موضحا أن

غمـوض المحاورة يأتى من اتجاه أفلاطون للخلط بين ما يدخل فى نطاق المعرفة وما يدخل فى نطاق الفكر.

واختارت الأسـتاذة الدكتورة سهير فضل الله الشافعى «فلسفة الشك واليقين فى فلسـفة اليونان والمسـلمين» موضحة الفرق بين شـك ويقين فلاسـفة اليونان والمسلمين، فقلاسفة اليونان لم يبلغوا اليقين وظلوا فى شكهم مترددين لعدم وجود العقيدة والتصديق أما الفلاسفة المسلمين فقد تمكنوا من بلوغ اليقين بفضل منهج الدين.

أمـا الدكتـورة زينب الخضيرى فـكان موضوع بحثها «الفيلسـوف اليهودى سليمان بن جبيرول بين اليهود والمسيحيين» وتوضح من خلال بحثها أن الفيلسوف اليهودى ابن جبيرول – أول أعلام الفكر اليهودى فـى المغرب – قد تكون مذهبـه فى أحضان الثقافـة العربية فى القرن الحادى عشر الميلادى ولذلك فقد حوى مذهبه عناصر مشائية أفلاطونية محدثة عربية ويونانية وأخرى يهودية، امتزجت سويا لتصبح مزيجا فريدا ظهر بصـورة واضحة فى كتابه «ينبوع الحياة» الذى يعد من أهم مؤلفاته الفلسـفية المخالف فـى كثير من جوانبه للعقيـدة اليهودية، إلا أنه كان له تأثيره الكبير على عقول الفلاسفة واللاهوتيين المسيحيين بدءا من القرن الثالث عشر.

أما القسـم الثالث مـن الكتاب فقد تضمن بعض محاضرات الأسـتاذ يوسف كرم التى كتبت بالفرنسية ونشرت فى كراسات الحلقة التوماوية

بدير الآبـاء الدومنيكان بالقاهرة، وقد قـام بترجمة هذه المحاضرات الأب الدكتور جورج قنواتى، والدكتورة زينب الخضيرى ففى محاضرة له بعنوان «حملة الغزالى على انفلاسـفة» يتعرض بأسـلوب نقدى لتلك المحاولـة من خلال نقـده لكتاب الغزالى «تهافت الفلاسـفة» ويرى أن الغزالى كان محقا فى نقده للفلاسـفة فى مسـائل بداية العالم ونهايته، والعلم الإلهى للجزئيات، وإمكانية حدوث المعجزة وبعث الأجسـام، ولكنه من ناحية أخرى يتساءل فيما كانت حاجة الغزالى لمواجهتهم فى مسـائل تتعلق بأدلة وجود الله، وروحانية النفس وخلودها، وما وجه الحاجة لجعـل النقد يمتد حتى مبدأ العلية وهـو ما يزعزع العقل فى أساسـه. هذا العقل الذى اسـتخدمه الغزالى لنقد حجج الفلاسفة، ولو انتبـه إلى هذا التناقض ما طرح هذه المشـكلة النقديـة، ومع ذلك يؤكد يوسف كرم سبق الغزالى لكل من ديكارت وكانط فى أكثر من موضوع.

وفى مقالة نقدية أخرى بعنوان «آراء إخوان الصفا» يتناول الأسـتاذ يوسـف كرم أفكارهم وآراءهم لتى وإن كان هدفها الظاهر تنقية الدين من الضلالات التى دنس بها، وإلى تجديده بواسـطة الفلسفة – إلا أنهم نظروا إلى الفلسـفة على أنها حياة وليست معرفة خالصة مجردة، وهى لا تمـس الديـن بتاتا بل هى تمنحـه مزيدا من اليقـين وهدفهم تأمل الديـن لا من أجل الدين فى حد ذاته بل من أجل الفلسـفة التى هى من عمل العقل.

ولا شك أن ترددهم فى بعض المسائل الاعتقادية كمشكلة مصدر الشر فى العالم، وماهية الله، والإنسان وحريته ومصير النفس. إلخ يوضح أن غايتهم لم تكن التمسك بحرفية القرآن أو رفض الدين ولكنهم أوّلوه وعقلوه.

ويرى الأستاذ يوسف كرم إن أفكارهم لم تكن مبتكرة، وهى فى مجموعة تعليمية جاءت نتيجة اختيار واسع كان ممكنا نظرا لالتقاء أديان وثقافات مختلفة فى عصرهم وكان الأثر الأكبر فيها للثقافة اليونانية بفضل تركيبها العقلانى واصطباغها بصبغة الروح الشرقية، والروح هنا تعنى العقلانية الواضحة التى انطلقت للتوفيق بين الدين والفلسفة.

ثم يعرض رأيه فى قضية التوفيق بين الدين والفلسفة موضحا أن اتفاق العقل والإيمان لا يعنى توضيحا كاملا من قبل العقل لموضوعات الإيمان وهو ما يعارض مفهوم الإيمان، ولكنه اتفاق العقل على أسس ونصوص العقيدة، وهكذا تصبح العقيدة عقلية بدون أن تكون عقلانية ويحافظ فى آن واحد على تعالى اللانهائى وعلى طبيعة العقل حتى يحين الوقت الذى ينقشع فيه الظلام بواسطة نور الله.

وفى مقالة أخرى بعنوان «القلق الإنسانى فى الفكر اليونانى» يوضح أن من بين كل أنواع القلق التى تعذب الإنسان ثمة واحدا يتعلق بمصيره ذاته، وإذا كانت هناك اضطرابات أخرى فما هى إلا نتاج له، وإذا كانت هذه المشكلة قد أرقت أصحاب الحضارة اليونانية منذ القرن التاسع إلى القرن الثالث قبل الميلاد نظرا لحرمانها من الوحى،

فإن المؤمنين قد عرفوا من خلال ما آمنوا به من وحى ما يجب أن يعتقدوه فيما يتعلق بأصل وجود الإنسان وحياته وغايته والوسائل التى يأخذ بها لتحقيق هذه الغاية. لقد كانت هذه المعرفة بمثابة الفنارة التى تحدد موقع وطريق الميناء للملاحين فهى ترشد عقولهم وتساندها فى محاولتها هى الأخرى اكتساب اليقين بوسائلها الخاصة.

ولقد عرض الأستاذ يوسف كرم فى تلك المقالة محاولات فلاسفة اليونان وأدبائهم لحل تلك المشكلة بأسلوب الفيلسوف المؤرخ الذى يعرض بفهم دقيق وعمق لا نظير له وبأمثلة مقنعة حتى إنه يقول «ولنتذكر ندم أفلاطون الرفيع على أن ثمة وحيا إلهيا لم يأت ليبطل ترددنا».

وتتوالى محاضرات الأستاذ يوسف كرم فى الحلقة التوماوية لتعبر عن أصالة فى الفكر وعمق ودقة فى العرض الفلسفى فيتحدث فى محاضرة عن «المدينة الفاضلة عند الفارابى» ويعرض فى أخرى «للفلسفة عند القديس توما الإكوينى» ثم يتلوها بمحاضرة بعنوان «فى مفهوم الفلسفة المسيحية» موضحا كيف تأثرت الفلسفة اليونانية بالعقيدة المسيحية ولحق بها تغير عميق جعل منها فلسفة مسيحية.

وفى القسم الرابع يختار الدكتور محمد عاطف (العراقى) عدة مقالات متنوعة للأستاذ يوسف كرم نشرت فى بعض المجلات العلمية وهو بلا شك اختيار موفق راعى فيه الدكتور عاطف (العراقى) إظهار يوسف كرم ليس كمؤرخ أو فيلسوف فحسب وإنما أيضا كناقد يتمتع

بحس نقدى مرهف غايته الوصول بالفكر أو الموضوع محل النقد إلى مراتب الكمال.

فيعرض مقالة نشرت له بمجلة الكتاب فى يناير ١٩٤٨ بعنوان «الفضيلة جمال النفس» وفيها يؤكد يوسف كرم إن الفضيلة هى الإيمان بالنفس، وبمد النظر إلى ما وراء هذه الدنيا، والذين يقصرون نظرهم عليها وينكرون النفس ينكرون الفضيلة حتما، ففى النفس خط دقيق مسطور هو إن الانسان مصنوع للخلود.

كما يعرض له عدة مقالات نشرت بمجلة الكتاب، ومجلة الكاتب المصرى تناول فيها يوسف كرم نقد بعض الأعمال الفلسفية لكبار الكتاب بأسلوب موضوعى دقيق غاية الدقة، عميق غاية العمق، حيث يعرض ما فى الموضوع من جوانب إيجابية. وما فيه من جوانب سلبية عرضا أمينا وقد يتفق مع هذا الفيلسوف أو قد يختلف معه مما يدلنا على عقليته الدقيقة وحسه النقدى نذكر من هذه المقالات: نقده لكتاب «محمد عبده» للدكتور عثمان أمين، ونقده لكتاب «مبادئ علم النفس العام» تأليف الدكتور يوسف مراد، ونقده لكتاب «مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ونقد المسلمين للمنطق الأرسطى» تأليف الدكتور على سامى النشار، ونقده لكتاب «الإدراك الحسى عند ابن سينا» للدكتور عثمان نجاتى، ونقده لكتاب «فلسفة المعتزلة» تأليف ألبير نادر.

ومن جانب آخر يعرض الدكتور (عاطف العراقى) فى هذا القسم نقد كبار الكتاب لبعض مؤلفات يوسف كرم كنقد الدكتور إبراهيم مدكور

لكتاب يوسف كرم «تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط» ونقد الدكتور محمد يوسف موسى لكتاب «تاريخ الفلسفة الحديثة».

أما القسم الخامس من الكتاب فقد أعطى له الدكتور (عاطف العراقى) عنوان «قبيل الوفاة» تضمن مقالتين إحداهما للدكتور مراد وهبة بجريدة الأهرام، والأخرى خطاب من الأستاذ يوسف كرم للأستاذ إميل زيدان بخصوص المقالة السابقة، يوضح فيهما كيف عاش يوسف كرم صامتا زاهدا، بل فقيرا معدما بعد أن وقف حياته للفكر والفلسفة يقول الدكتور مراد وهبه فى مقالته السالفة الذكر «فى شارع الشيتى رقم ١٠ بطنطا»، وفى حجرة متواضعة يجلس فيلسوف كبير، اسمه يوسف كرم.. جسمه غير قادر على حمل عقله الكبير.. وأفكاره هى التى تتحرك فقط.. يمضى وقته حبيس الحجرة، يجلس على كرسى من الخشب، أمامه رقعة من الخشب يستخدمها كمكتب.. عليها بعض أوراق فيها خطوط سوداء.. والحجرة خالية من كل شىء إلا من سرير بسيط لأن أثاث منزله كله اختفى مرة واحدة. فقد انهار المنزل الذى كان يقيم فيه سابقا..إلخ تلك المحنة القاسية ولكن يوسف كرم كان أقوى منها فقد احتملها بلا يأس وبلا ألم وبلا ندم فقد كانت حياته تسير فى خط واحد هو الفلسفة.

وقد تضمن القسم السادس من الكتاب المقالات التى كتبها زملاؤه وأصدقاؤه بعد وفاته والتى نشرت فى مجلة ميديو بالفرنسية وقام الأب الدكتور جورج قنواتى بترجمتها إلى اللغة العربية فكتب الدكتور

إبراهيم مدكور عن «الزميل يوسف كرم» وكتب الدكتور محمد يوسف موسى«إلى صديقى يوسف كرم» وكتب الدكتور عثمان أمين «يوسف كرم الفيلسوف» وكتب الدكتور نجيب بلدى عن الفلسفة العربية بين التشدد والترحيب وكان عنوان مقالة الدكتور مراد وهبة «توفى يوسف كرم».

إن القارئ لهذه المقالات وما قاله الزملاء والأصدقاء من كلمات ليشعرنا بالدور الكبير والحيوى والفعال الذى أداه يوسف كرم فى حياتنا الفلسفية المعاصرة.

ومما لا شك فيه أن الكتاب بهذه الصورة الحافلة بالدراسات فى مختلف الميادين الفكرية، وبهذا العدد الضخم من الأبحاث والمقالات، والذى شارك فيه أساتذة فى مختلف التخصصات والجامعات – قد جاء تكريما وتقديرا لأستاذ الفكر الفلسفى يوسف كرم بصورة مشرفة.

حقا لقد وجدت نفسى أمام مائدة فكرية ضخمة لم يكن من السهل على أى مفكر أن يجمع أصنافها بعناية فائقة، ودقة بالغة، وتناسب وانسجام إلا أن يقوم بهذا العمل الجاد أستاذ رائد بكل ما تحمل كلمة الأستاذية، وكلمة الريادة من معان سامية، ودلالات عميقة ونبيلة إنه الرجل الذى أشرف على هذا الكتاب، إنه الدكتور عاطف (العراقى).

غير أننى كنت أتمنى أن أجد فى هذا الكتاب دراسة مستفيضة من أحد أساتذتنا العظام تتعلق بسيرة يوسف كرم الذاتية والفكرية وأثرها فى آرائه وأفكاره.

صحيح أن الأستاذ سعيد زايد يعرض لنا نبذة قصيرة عن حياته ومؤلفاته من خلال تحليله لكتاب يوسف كرم «العقل والوجود» ولكن من لا يقرأ كل الدراسات التى تضمنها هذا الكتاب لا يعرف شيئا عن سيرته الذاتية خاصة وأن الأستاذ سعيد زايد تناولها باقتضاب.

وإذا كان يوسف كرم لم يترك لنا سيرة ذاتية له، فكان الأولى بنا أن نبحث ونمحص حتى تكتمل الصورة وتتضح لنا ملامح حياة هذا المفكر العظيم.

كذلك كنت أنتظر من الأستاذ الدكتور عاطف (العراقى) وهو صاحب الرؤية الفلسفية، والنظرة التنويرية المتفتحة والذى حمل طوال حياته مصباح الفكر لينير به العقول - كنت أنتظر منه أن يكتب عن منهج يوسف كرم النقدى خاصة وأن له دراسات عديدة فى نقد بعض كبار الكتاب وبعض المؤلفات الفلسفية المهمة.

كما كنت أنتظر أن أجد مقالة أو عدة مقالات عن المنهج العقلى عند يوسف كرم والذى كان يمكن أن يتضح بصورة أكبر لو استخلصناه من سائر مؤلفاته.

وإذا كان الدكتور مراد وهبة قد اعتبر أن يوسف كرم هو صاحب المذهب العقلى المعتدل فإن هذا المذهب لم يظهر بصورة واضحة من خلال مؤلفاته الثلاثة لأن الدكتور مراد وهبة اقتصر على كتاب العقل والوجود واعتبر أن مؤلفاته الأخرى كانت تميل إلى التأريخ وقد كان بإمكانه أن يظهر هذا المنهج بصورة أشمل إذا كان قد تناوله

من خلال آراء يوسف كرم فى الطبيعة، وما بعد الطبيعة، والمعرفة، والأخلاق وغيرها.

وبرغم ذلك فإن الكتاب عمل عظيم يعبر عن شموخ ثقافى فكرى قلّ أن نجد له نظيرا. ويحفزنا هذا العمل على مواصلة الاهتمام بأساتذة ومعلمى الجيل من الرواد الذين أعطوا ولا يزالون يواصلون عطاءهم ويتفانون فى خدمة قضايانا الفكرية والمصيرية.

❑❑❑